( ) /

Source gallica.bnf.fr / Institut dominicain d'études orientales

BnF Gallica

Bišr, Salm ibn Ab Fara al- (1867-1917). Auteur du texte. ( ) /
. .

1/ Les contenus accessibles sur le site Gallica sont pour la plupart des reproductions numériques d'oeuvres tombées dans le domaine public provenant des collections de la BnF. Leur réutilisation s'inscrit dans le cadre de la loi n°78-753 du 17 juillet 1978 :
- La réutilisation non commerciale de ces contenus est libre et gratuite dans le respect de la législation en vigueur et notamment du maintien de la mention de source.
- La réutilisation commerciale de ces contenus est payante et fait l'objet d'une licence. Est entendue par réutilisation commerciale la revente de contenus sous forme de produits élaborés ou de fourniture de service.

CLIQUER ICI POUR ACCÉDER AUX TARIFS ET À LA LICENCE

2/ Les contenus de Gallica sont la propriété de la BnF au sens de l'article L.2112-1 du code général de la propriété des personnes publiques.

3/ Quelques contenus sont soumis à un régime de réutilisation particulier. Il s'agit :

- des reproductions de documents protégés par un droit d'auteur appartenant à un tiers. Ces documents ne peuvent être réutilisés, sauf dans le cadre de la copie privée, sans l'autorisation préalable du titulaire des droits.
- des reproductions de documents conservés dans les bibliothèques ou autres institutions partenaires. Ceux-ci sont signalés par la mention Source gallica.BnF.fr / Bibliothèque municipale de ... (ou autre partenaire). L'utilisateur est invité à s'informer auprès de ces bibliothèques de leurs conditions de réutilisation.

4/ Gallica constitue une base de données, dont la BnF est le producteur, protégée au sens des articles L341-1 et suivants du code de la propriété intellectuelle.

5/ Les présentes conditions d'utilisation des contenus de Gallica sont régies par la loi française. En cas de réutilisation prévue dans un autre pays, il appartient à chaque utilisateur de vérifier la conformité de son projet avec le droit de ce pays.

6/ L'utilisateur s'engage à respecter les présentes conditions d'utilisation ainsi que la législation en vigueur, notamment en matière de propriété intellectuelle. En cas de non respect de ces dispositions, il est notamment passible d'une amende prévue par la loi du 17 juillet 1978.

7/ Pour obtenir un document de Gallica en haute définition, contacter
utilisation.commerciale@bnf.fr.

12-M-77

IX
309
19

Source gallica.bnf.fr / Institut dominicain d'études orientales

IX
309
19

نهج البردة

نظم

أحمد شوقي

شاعر الحضرة الفخيمة الخديوية

INSTITUT DOMINICAIN
D'ETUDES ORIENTALES
* Le Caire *
No. d'inv. 21.159
Cote IX 309 19

وعليه

وضح النهج

شرح

مولانا الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر

الشيخ سليم البشري

الطبعة الاولى

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٣٢٨ هجرية و ١٩١٠ ميلادية

طبع بمطبعة الإصلاح بشارع محمد علي بمصر

ابراهيم فوزى

TRL 12260
IX
309
19

نهج البردة

نظم

احمد شوقى
شاعر الحضرة الفخيمة الخديوية

INSTITUT DOMINICAIN
D'ETUDES ORIENTALES
* Le Caire *
No. d'inv. ....
Cote ....

وعليه

وضح النهج

شرح

مولانا الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر
الشيخ سليم البشرى

الطبعة الاولى

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

١٣٢٨ هجرية و ١٩١٠ ميلادية

طبع بمطبعة الاصلاح بشارع محمد علي بمصر

ابراهيم فوزى

«المليك المعظم مولانا الحاج عباس حلمي الثاني»

«مولاي»

« رأى الله لهذا العبد الخاضع شاعر بيتك الكريم أن يمشي »
« بنور العلم الفرد المغفور له (البوصيري) صاحب القصيدة الشهيرة »
« (بالبردة) في مدح خير الأنام عليه الصلاة والسلام . فنظمت هذه الكلمة »
« التي أسأل الله وأرجو من رسوله قبولها وجعلتها يامولاي لحجتك »
« المبرورة (تذكارها — ١٣٢٧) كلما تناقل الناس أخبارها . وقد تفضل »
« مولانا الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر (الشيخ سليم البشرى) »
« فتكفل بشرحها للناس . فدخلت البركة على أبياتها من كل مكان »
« وحسن قبولها من المليك نهاية الابداع والاحسان »

« عبدكم »

« شوقي »

بسم الله الرحمن الرحيم

فاتحة الكتاب

لحضرة محمد بك المويلحي

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيد المرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعد فان الشعر ضرب من ضروب القول يتسع لكل غرض ويتناول كل مطلب. والسابق فيه من يذهب به فنونا ويتشعب له القول فيه شعوبا. وقد سبق لفحول الشعراء المتقدمين أنهم لم يتركوا سبيلاً من المقاصد إلا سلكوه ولابابًا من أبواب المعاني إلا طرقوه. فبينا ترى الشاعر منهم يتنزل في شعره فيصنع قصيدته في وصف الفرس الأعوجيّ والبعير المهريّ والحمار الأخدريّ والقطا الكُدريّ إذا هو يعلو صُعُداً في تقرير الحقيقة وتمجيد الفضيلة وتدوين الحكمة وضرب المثل. ولا يزال ما قالوه الى اليوم جديداً على الدهر. ولقد وهم من قال عنهم إنهم قصَروا أشعارهم على حد من القول محدود وداروا به في مجال من المعنى محصور وانهم قصّروا أن يحيطوا بمتَّسع الأغراض في مظاهر الحضارة وعجزوا عن الالمام بما يتدرج فيه نظام البشر من سموّ المدارك وعلوّ المقاصد فأجهدوا خيالهم واستنفدوا أقوالهم في أوصاف الإبل ونعوت الخيل وما لنا اليوم وللقول في تلك الإبل وللكلام عن هذه الخيل وأمامنا عجائب البخار وغرائب الكهرباء!

ولكن لم يكن ذلك منهم عن عجز فقد استوعبوا القول وأجادوا الوصف

حتى انه ليخيل لنا من أشعارهم أنهم تجاوزوا أزمانهم الى أزماننا وتناولوا في طريق مبالغتهم وإغراقهم مايدور اليوم بين أيدينا ويُصنع أمام أعيننا . ومن ذا الذي توصل منا الى الآن أن يصف سرعة القطار بمثل ماوصف به متنبي الغرب سبْقَ الخيل في قوله :

وَأجلُ عِلمِ البرْقِ فيها أنّها * مرّتْ بجانحتيهِ وهيَ ظنُونُ

أو قول أعمى المعرة :

ولما لم يُسابقهنَّ شيءٌ * من الحيوانِ سابقْنَ الظِّلالا

ولا يقال إن باللغة ضيقاً لايتسع لمجال القول في مستحدثات هذه الأزمان فان اللغة العربية وسعت كل شيء في كل زمن وهذه كتبها المخفوَّة تشهد لمن يطلع عليها بسعة المادة دون كل لغة وإنما إهمال النظر فيها هو الذي دعا الى هذا الوهم وحدا الى ذلك الزعم

وإذا كان الشاعر منهم اشتغل بوصف كلب الصيد في شعره فقال مثلا :

أنعتُ كلباً أهلهُ في ودِّه * قد سعدتْ جُدُودُهم بجدِّهِ
فكلُّ خيرٍ عندهم من عندِهِ * يظلُّ مولاهُ لهُ كعبدهِ
يبيت أُدْنى صاحبٍ من مهدهِ * وإن غدا جلَّلهُ ببُردهِ
ذو غُرَّةٍ مُحجَّلٌ بزندهِ * يلذُّ منه العينَ حسنُ قدِّهِ
ياحُسْنَ شدْقيهِ وطولَ خدِّهِ * تلقى الظباءُ عنتاً من طردهِ
يشربُ كأساً شدُّها في شدِّهِ * يالكَ من كلبٍ نسيجُ وحدهِ

إذا هو يقول في مناجاته لربه ما لم يقله أعظم مشرِّح من أطباء الأفرنج ممن يتناولون الشعر اليوم :

يامن يرى مد البعوض جناحه * في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى عروق نياطها في نحرها * والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته * ما كان منه في الزمان الأول

وإذا صرف غيره شعره الى وصف الثعبان مثلاً فقال :

أهوى الى باب جحر في مقدمه * مثل العسيب ترى في رأسه نزعا
اللون أربد والأنياب شائكة * عصل ترى السم يجري بينها قطعا
أصم ما ثم من خضراء أيبسها * أو ثم من حجر أوهاه فانصدعا

فان سواه من علماء الكلام والتوحيد يقول مالم يقل مثله « فلاماريون » حكيم الفرنساويين اليوم وشاعرهم الفلكي في سر الوجود وخفاء ماهية النفس :

والله لاموسى ولا عيسى المسيح ولا محمد
علموا ولا جبريل وهو الى محل العرش يصعد
كلا ولا النفس البسيطة لا ولا العقل المجرد
من كنه ذاتك غير أنك واحدي الذات سرمد
وجدوا إضافات ونسبا والحقيقة ليس توجد
ورأوا وجوداً واجباً * يفنى الزمان وليس ينفد
فلتخسأ الحكماء عن * حرم له الأفلاك تسجد
من أنت يارسطو ومن * أفلاط قبلك يامبلد
ومن ابن سينا حين قرر * ماهديت له وشيد
هل أنتم إلا الفرا * ش رأى الشهاب وقد توقد
فدنا فأحرق نفسه * ولو اهتدى رشدا لأبعد

وقوله :

قد حار فى النفس جميعُ الورى * والفكرُ فيها قد غدا ضائعا
وبرهن الكلُّ على ما ادَّعوْا * وليس برهانٌ لهم قاطعا
مَنْ جهِلَ الصنعةَ عجزاً فما * أجدرَه أن يجهلَ الصانعا

فالشاعر المجيد من أهل هذا العصر من لم يهمل الأخذ بطريقة المتقدمين فى شعره . ولن يتمّ له الاحسان فى قول الشعر إلا باحتذاء حسناتهم والعمل على شاكلتهم

ولقد وُفّق بحمد الله شاعرنا هذا احمد شوقي الى سلوك هذا السبيل فى شعره فلم يقتصر على قرض القريض فى ماتجري عليه الأحوال فى عصرنا الحاضر بل سار على نهج المتقدمين وانتحى مناحيهم فى فنون الشعر واقتدى بهم فى هذه القصيدة بما يسمونه بالبديعيات فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم فبلغ أوج الإجادة ووصل الى أعلى طبقات القريض وهي قول الحق وتقرير الصدق فتمّ له بذلك الإحسانُ المعنىّ فى قول الشاعر :

وإنّ أحسن بيتٍ أنت قائلهُ * بيتٌ يقال إذا أنشدتَهُ صدَقا

والشعر إذا كان على هذا الضرب تشاغل به العلماء وتنافس فيه الحكماء وأنزله أهلُ التقى والدين وأصحابُ الورع واليقين منزلته من الإجلال والإعظام فلا بدع إذنْ أن انبرى لشرح هذه القصيدة مولانا الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر وهو من علمت سموّ مكانته وعلوّ درجته أدباً وعلما ووقاراً وحلما وفهماً وإفادة وتقى وعبادة وورعاً وزهادة وأولئك لهم الحسنى وزيادة

وإذا كان الشعراء عرفوا مواضع السجود في الشعر عند إنشاد قصائدهم بمجلس الخليفة في محضر العلماء حين وصل أحدُهم عديٌّ بن الرقاع في إنشاد قصيدته الى قوله يصف ولد الظبية وشبوبَ قرنه :

تُزجي أغَنَّ كأَنَّ إبْرَةَ رَوْقِهِ * قلمٌ أصابَ من الدَّواةِ مِدادَها

فخرّوا كلهم ساجدين استحساناً للبيت فلما آخذهم مَنْ حضر من العلماء قالوا لهم لا تؤاخذونا إنا نعرف مواضع السجود في الشعر كما تعرفون مواضع السجود في القرآن — فان لمولانا الشيخ شيخ العلماء أن يقول اليوم ونحن أيضاً نعرف مواضع الصدق في الشعر فنحفل به ونتقبله بأحسن قبول ولا يكون عندنا أبداً من مكروهه الوارد ذكره في الآيات البينات بل يكون من مستثناه فيها فان المقصود من الآية في الشعراء بقوله تعالى : « والشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ في كلِّ وادٍ يَهِيمُونَ وأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَالاَ يَفْعَلُونَ » هم أهلُ الكذب وفضولِ القول وأربابُ الهجاء وتمزيق الأعراضِ والقدحِ في الأنسابِ والنسيبِ بالحرم والابتهارِ ومدحِ من لا يستحق. ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم إلا الغاوون السفهاء . وقيل هم الشعراء الذين كانوا يقولون نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع اليهم الأعراب من قومهم يستمعون لهم أشعارهم وأهاجيهم مثل عبد الله بن الزبعري وهُبَيْرَةَ وأبي عزة الجمحي فهم أهل فتنة وباطل . ومن يهيم منهم في مجاوزة حد القصد حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأشحهم على حاتم وأن يبهتوا البريَّ ويفسقوا التقيَّ . ثم قال تعالى بعد ذلك « إلاَّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالحاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً

وَانتَصَرُوا من بعْدِ مَاظُلمُوا » فاستثنى الشعراء المؤمنين الذين إذا قالوا شعراً قالوه في توحيد الله والثناء عليه والحكمة والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وصلحاء الأمة ومالا بأس به من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون فيها بوزر ولا منقصةٍ وكان هجاؤهم على سبيل الانتصار ممن يهجوهم . قال تعالى « لَا يُحِبُّ اللهُ الجَهْرَ بالسُّوءِ مِنَ القَوْلِ إلاَّ مَنْ ظُلِمَ » وذلك من غير اعتداء ولا زيادة على ماهو جوابٌ لقوله تعالى « فَمَنِ اعتَدَى عليكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مااعتَدَى عَلَيكُمْ » . وعن عمرو بن عبيد أن شريفاً من العلوية قال له إن صدري ليجيشُ بالشعر فقال فما يمنعك منه فيما لا بأس به

وجملة القول أن الشعر بابٌ من أبواب الكلام فحَسَنُهُ كحسن الكلام وقبيحُه كقبيح الكلام . وكان عليه الصلاة والسلام يقول لحسان وهو ينافر عنه « قلْ وروح القدس معك »

والقول كذلك في تفسير الآية « وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَه إنْ هُوَ إلاَّ ذِكْرٌ وقُرْآنٌ مُبِين » أنه ما علّمه بتعليم القرآنِ الشعرَ على معنى أن القرآن ليس بشعر وما هو من الشعر في شيء وأين هو عن الشعر والشعر إنما هو كلام موزون مُقفّىً يدل على معنىً فأين الوزن وأين التقفية وأين المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه وأين نظم كلامهم عن نظمه وأساليبه فإذنْ لا مناسبة بينه وبين الشعر إذا حققت . « وَمَا يَنْبَغِي له » وما يصح له ولا ينطلب لو طلبه أي أنه جعله عليه الصلاة والسلام بحيث لو أراد قرض الشعر لم يتأتَّ له ولم يتسهَّلْ كما أنه جعله أمياً لا يتهدَّى للخط ولا يحسنه لتكون الحجة أُثبت والشبهة أُدحض . وعن الخليل « كان الشعر أحب الى

رسول الله من كثير من الكلام ولكن كان لايتأتى له »

وإن قصيدةً تُصنع فى مدح الرسول وتوضع تذكاراً لحج المليك ويكون شيخ الاسلام شارحها وشاعر الأمير قائلها

من اللاتى أمدَّ بهنَّ طبعٌ وهذّبهنّ فكرٌ وانتقادُ

لهي جديرة بأن تنحني لها الرؤوس إعظاماً وإكبارا . وتُحنىَ عليها أحناء الضلوع ضنًّا بها وإيثارا . وتستضيء بنورها البصائر . وتُعقد على نفاستها الخناصر . وتشغف بها القلوب فتضمها فى الشغاف . وتنطوي الصدور على حفظها طيّ الغلاف . ويتلوها العلماء والأدباء بترنح الأوصال وهزة الأعطاف . ويتهادونها بينهم أبدعَ مافى باب الإتحاف والألطاف . والله يتقبلها من قائلها قبولاً حسنا وينفع المسلمين ببركة شارحها نفعاً جما وهو ولينا ونعم المولى ونعم النصير

محمد المويلحي

رِيمٌ على القاعِ بَيْنَ البانِ والعَلَمِ * احلّ سَفْكَ دَمِي في الاشهُرِ الحُرُمِ (١)

---

(١) (الرئم) بالهمز ويخفف بقلب الهمزة ياءً الظبي الخالص البياض والجمع ارآم وفى لسان العرب. « وقلبوا فقالوا آرام » اه فهو كبئر وآبار قلبوا فقالوا أأرام على وزان أعفال ثم سهلت الهمزة الثانية فقلبت الفاً جريا على القاعدة من أنه أذا وقعت همزة ساكنة اثر همزة متحركة قلبت من جنس حركتها — (القاع) الارض السهلة المطمئنة التى لاحزونة فيها (البان) جمع بانة ضرب من الشجر — (العلم) الجبل — (الاشهر الحرم) اربعة ثلاثة متتابعةوهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب

وكانت العرب لاتستحل فيها القتال فاذا هي اوفت بهم اغمدوا سيوفهم ونهضوا الى أسواقهم فتعاملوا فيها وتناشدوا الشعر ومشى القِرن الى قرنه مسالماً كأن لم يكن بينهما بالامس دم، ولم يطلب احدهما صاحبه بوتر، وكذلك كان حكمها فى الاسلام ثم نسخ ومضى فيها حل القتال. وقال عطاء بعدم النسخ وحرمة القتال فيها وهو ضعيف

المعنى — ان المحبوبة السانحة فى ذلك الموضع كأنها الظبي فى حسنه ورشاقته قد قتلته صبابةً بها وولهاً عليها وأسرفت عليه حتى انها استحلت دمه فى الشهور التى تحقن فيها الدماء ويحرم فيها القتال حتى بين الموتور والواتر ويمشى فيها السلم بين المثؤور والثائر

وفى الشطر الثانى الطباق بين قوله « أحل » وقوله « الحرم »

ولايذهب عن القارىء ما فى البيت من براعة الاستهلال

رمى القضاء بعيني جؤذرٍ اسداً * ياساكن القاع ادرك ساكن الأجم (١)
لمّا رنا حدّثتني النفسُ قائلةً * ياويح جنبك بالسهم المصيب رُمِي (٢)

---

(١) (الجؤذر) ولد البقرة الوحشية - (الأجم) جمع اجمة الشجر الكثير الملتف وهو مسكن الاسد

يريد (بالجؤذر) تلك المحبوبة التى شبهها فى البيت السابق «بالريم» تشبيهاً لها بالجؤذر فى جمال عينيه واتساعهما. ويريد (بالاسد) نفسه لما له من شجاعته واقدامه

المعنى — ان المحبوبة رمته من عينيها النجلاوين بمثل ما يُرمى عن القوس من السهام. وقد وصل تلك الرمية «بالقضاء» تقريراً للعقيدة الصحيحة من ان كل واقع بقضاء الله تعالى وقدره. وفى الشطر الثانى يستغيث للمقتول بالقاتل — لامنه — ويستنجد للاسد بالغزال! وهو بديع

(٢) (رنا) يرنو رُنُوّاً والرنوّ ادامة النظر مع سكون الطرف و(ياويح) كلمه تقال لمن وقع فى الشدة والمكروه يستنجد له بالرأفة والرحمة مما وقع فيه. قال الازهري «الفرق بين ويح وويل ان ويل تقال لمن وقع في هلكة أو بلية لايترحم عليه وويح تقال لكل من وقع في بلية يرحم ويدعي له بالتخلص منها» قال «وأصل ويح وويس — كلمة رأفة واستملاح — وويل كله عندى وي وصلت بحاء مرة وبسين مرة وبلام مرة

المعنى — يقول انه احسّ عندما سدد الحبيب نظره اليه بانه قدملك عليه لُبّه وان سهم لحظه قد مضى الى صميم قلبه. وتطلّب لجنبه — لانه

جَحَدْتُها وَكَتَمْتُ السهمَ في كَبدي * جُرْحُ الأَحبَّة عِندي غَيرُ ذي أَلمِ (١)
رُزِقتَ أَسْمحَ ما في النَّاسِ مِنْ خُلُقٍ * إذا رُزِقتَ التماسَ العُذْرِ في الشِّيَمِ (٢)

مثوى القلب — الشفقة والمرحمة مما أخذ فيه من الوجد وشاع فيه من الصبابة

(١) (جحدتها) الجحود الانكار مع العلم

المعنى — لم يتشكَّ من تلك الرمية بل لم يعالج استلال السهم من كبده وزعم أنه لم ينله ألمٌ من اثر ذلك السهم الذى انتظم كبده تنزيلا للألم منزلة عدمه مادامت مراميه عيون الاحبة . قال الشاعر :

« فما لجرح اذا أرضاكم ألم »

وقديماً كان ذلك شأن العشاق فيما ينزل بهم من آلام الوجد والهوى لا يطلبون أسباب السلامة منها بل تراهم يتطلّبون زيادتها لانها من لوازم الحب ولا خلاص لهم منها الا بخروجهم منه

روي أهل الادب ان مجنون بنى عامر لما أدنفه حب ليلى انطلق به الى البيت الحرام نفرٌ من أهله وقالوا له لو تعلقت باستار الكعبة فدعوت الله تعالى ان يبرأك من حبها كنت حقيقاً ان يستجاب دعاؤك فتشبّث بستور الكعبة وقال « اللهم زدنى في ليلى حباً » فجُن من ذلك الحين جنونه وهام في بطون الاودية ومسارب الوحش حتى وافقته منيته

وقال الشاعر

ويا حبها زدنى جوًى كل ليلة   ويا سلوة الايام موعدك الحشر

(٢) (الشيم) جمع شيمة وهى الخلق والطبيعة

المعنى — يقول ان أنفس الاخلاق واكرم الخلال ان يُطبَع الانسان على التماس

يالائمي في هواهُ والهوى قدرٌ * لو شفَّكَ الوجدُ لم تعذلْ ولم تلمِ (١)
لقدْ انلتكَ أذناً غيرَ واعيةٍ * وربَّ منتصتٍ والقلبُ في صممِ (٢)
ياناعسَ الطرْفِ لا ذقتَ الهوى ابداً * اسهرتَ مضناكَ في حفظِ الهوى فنمِ (٣)

المعاذير للناس فيما تقع عليه نفوسهم مما يحسب من مواضع العيب ومساقط الضعف

والبيت بمثابة التمهيد للبيت الذي يليه كأنه توقع أن يلومه لائم على الحال التى صارت به الى ماذكر من تعرضه للقتل واستهدافه للسهام فقدم بقوله « رزقت أسمح مافى الناس — البيت » فضل الامساك عن اتباع عثرات الناس وطلب عوراتهم . وفصل فى البيت الآتى عذره تفصيلا

(١) (شفه) الوجد هزله وأنحل جسمه

المعنى — يقول يامن يلومنى فى هذا الهوى ما كان لك ان تفعل وهذا شيء قدره الله علي ووصله بقلبي ، ولو انه لحقك الهوى وأخذ فيك الوجد ونالك ما ينال اهله من السقم والوهن ما أسرعت الى العذل واللوم

وقال صاحب البردة في هذا المعنى

يالائمي في الهوى العذري معذرة   مني اليك ولو أنصفت لم تلم

(٢) (انتصت) سكت سكوت مستمع .

وفي الشطر الثاني من البيت الطباق بين قوله «منتصت» وقوله «في صمم»

وقال أصله في هذا المعني

محضتنى النصح لكن لست أسمعه   ان المحب عن العذال في صمم

(٣) (الناعس) الوسنان — (الطرف) بالفتح العين — (المضنى)

أفديكَ ألفاً ولا آلو الخيالَ فِدًى * أغراكَ بالبُخلِ من أغراهُ بالكرمِ (١)

الذى اثقله المرض و « مضناك » الذى اضنيته بما لحقه من الوله عليك

المعنى — يخاطب معشوقه وقد أخذته عينه فبات لايسهده وجد ولا يؤرقه شغل بهوى على حين لايغشى الكرى مقلتي عاشقه . ويدعو له بالسلامة من الهوى لئلا يناله ماينال أهله من السهد والارق

وفى الشطر الثانى من البيت الطباق بين قوله « أسهرت » وقوله « فنم »

(١) (آلو) الالوُّ هنا المنع والتقصير — (أغراه) بالشيء زيَّنَه له وحرضه عليه

المعنى — جعل نفسه فدى للمحبوب من المكاره وقال انه لايضن بهذا أيضا على خياله على مابينهما من التباين فى الخلق والعادة لضن الاول وطول تجنيه واحتجابه ، وكرم الخيال بكثرة تردده وطروقه . ولعل « المغرى » لكل منهما — على ماسمعتَ — العشقُ فانه من شأنه ان يبعث المعشوق على النفور والتمنع ولايبرح ممسكا على ظله وصورته فى مخيلة العاشق لا يُفْلِتُهافى يقظة أو منام . قال الشاعر

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تَمَثَّلُ لى ليلى بكل سبيل

وقال الشاعر

ماسرت الا وطيف منك يصحبنى سُرًى امامي وتأويباً على اثرى

لوحط رحليَ فوق النجم رافعه ألفيتُ ثَمَّ خيالا منك منتظرى

سَرَى فَصَادَفَ جُرْحًا دَامِيًا فأسَا * وَرُبَّ فَضْلٍ عَلَى العُشَّاقِ لِلْحُلُمِ (١)
مِنَ الموائسِ بَانًا بالرُّبى وقَنًا * اللَّاعِبَاتُ بِرُوحِي السَّافِحَاتُ دَمِي (٢)
السَّافِرَاتُ كَأَمْثَالِ البُدُورِ ضُحًى * يُغِرْنَ شَمْسَ الضُّحَى بالحَلْيِ والعِصَمِ (٣)

---

(١) (سرى) السرى المشي في الليل — (أسا) الجرح يأسوه داواه

المعنى — يريد ان طول هجر المحبوب له وانقطاعه عنه قد أسال مُهجته شوقا له وحنينا اليه حتى اذا تطلَّع له فى عالم الرؤيا سكن به فؤاده، وَابْترَدَتْ من تلك اللوعة كبده، وذلك من فضل الاحلام على العشاق فانه اذا فاتهم رؤية المحبوب يقظة وافقهم طيفه مناما. وربما احتال المهجور على النوم يتوسل به الى لقاء المحبوب والظَّفر بخياله. قال الشاعر

وأخرج من بين الجلوس لعلني أحدث عنك النفس فى السر خاليا
وانى لأستغشى ومابي نعسة لعل خيالا منك يلقى خياليا

(٢) (الموائس) جمع مائسة وهي المتبخترة — (البان) ضرب من الشجر واحدتها «بانة» يشبه القوام باغصانها للدونتها — (القنا) جمع قناة وهي الرمح — (السافحات) سفح الدم سفكه وأساله

المعنى — شبه تثنيهن ولدونة أعطافهن باغصان البان اذا مستها نفحة الصبا. وأبلغ ما يكون ذلك اذا كانت على مرتفع من الارض. وشبههن أيضا بالقنا لدقتها وكثرة اهتزازها واضطرابها فى أيدى الطاعنين

(٣) (السافرات) يقال سفرت المرأة كشفت عن وجهها — (الحَلْيُ) ماتزين به المرأة من مصوغ المعادن وكريم الحجارة والجمع (الحُلِيّ)

القَاتلاَتُ بأجْفَانٍ بهَا سقَمٌ * ولِلْمنيَّةِ أسْبَابٌ منَ السقَمِ (١)
العَاثِرَاتُ بِألْبَابِ الرِّجَالِ ومَا * أُقِلْنَ منْ عثرَاتِ الدَّلِّ في الرَّسَمِ (٢)

(العصم) القلائد جمع عصمة كعنب وعنبة

(١) **المعنى** — يقول انهن يقتلن بعيونهن المِرَاض والمرض كثيراً مايُفضى الى الموت ويكون سبباً فيه ! ولايخفى مافيه من حسن التعليل

(٢) (العاثرات) العثرة الزلة والسقطة و « أقاله من عثرته » انهضه منها — (الدل) فى الصحاح : الدل قريب المعنى من الهدي وهما من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك — (الرسَم) حسن المشي

المعنى — شبه وقوع هواهن في كل قلب صادفنه بالعاثر الذي تزل به قدمه في الطريق الحزْن . وجَعْلُ القلوب مجازا لهن واعتراضُها موطئ اقدامهن يخضن فيها ويسلكنها سلوك المتعثر فيقعن في القلب بعد القلب كما يقع العاثر في الحفرة بعد الحفرة من المعاني البديعة

وفي الشطر الثاني جعل لهن من جمال المنْظَر وحسن المشية عثرات ولعله سماها « عثرات » مشاكلة لما في صدر البيت . أو انه شبه تثنيهن وتبخترهن في مشيتهن « بالعاثر » ايضاً اذ كان لهن ماله من الميل والاهتزاز . أو انه اراد التعثر الحقيقي اذ أنهن يتعثرن في ثيابهن لطولها وتثنيهن

ويريد بقوله « وما أقلن » ان ذلك شيء ملازم لهن ، وان عثرات الدل مقصودة بالطبع لا إقالة منها بخلاف سائر العثرات . وقوله « في الرَّسَم » احتراس لطيف

المُضْرِماتُ خُدُوداً اسفَرَتْ وَجَلَتْ * عن فِتْنَةٍ تُسلِمُ الأَكْبادَ للضَّرَمِ (١)

الحاملاتُ لواءَ الحُسنِ مُختلفاً * اشكالُهُ وهو فَردٌ غيرُ مُنْقَسِمِ (٢)

مِنْ كُلِّ بيضاءَ اوسمراءَ زُيِّنَتا * للعينِ والحُسنُ في الآرامِ كالعُصُمِ (٣)

---

(١) (الضرم) اشتعال النار

المعنى — يقول ان لهن خدوداً كالنار في حمرتها وتوهجها يفتتن بها عقل رائيها وتحرق لها كبد عاشقها

(٢) (اللواء) العلم — و(حمل لواء الحسن) كناية عن نهاية البراعة فيه

المعنى — يقول: انهن قد تنوعت ضروب جمالهن واختلفت فيهن أقسام الحسن والحسنُ في ذاته شيء واحد قد رُمين به جميعاً. وقد أوضح هذا في البيت الذي بعده

(٣) (العصم) جمع أعصم الذى فيه «العُصْمَة» بالضم وهي بياض اليدين، والعصماء من المعز البيضاء الذراعين وسائرها أسود أو أحمر. وحرك الصاد اتباعا لحركة العين قبلها

المعنى — بيَّن فى هذا البيت ان اختلافهن بالبياض والسمرة لاينافي أنهن جميعاً حسان. الا ترى ان الحسن فى الآرام — وهي الخالصة البياض مثل الحسن فى اخواتها التي نهض بياضها فى سوادها وهي العصم؟

وصح تثنية الضمير في قوله «زينتا» لان «او» في البيت للتنويع

يُرَعْنَ لِلبَصَرِ السَّامِي وَمِنْ عَجَبٍ * إِذَا اشْرَنَ اسَرْنَ اللَّيْثَ بِالعَنَمِ (١)
وَضَعْتُ خَدِّي وَقَسَّمْتُ الفُؤَادَ رُبًى * يَرْتَعِنَ فِي كُنُسٍ مِنْهُ وَفِي أُكَمِ (٢)
يَابِنْتَ ذِي اللِّبَدِ المَحْمِيِّ جَانِبُهُ * أَلْقَاكِ فِي الغَابِ أَمْ أَلْقَاكِ فِي الأُطُمِ (٣)

---

(١) (يرعن) يخفن — (العنم) شجرة حجازية لها ثمرة حمراء تشبّه بها البنان المخضوبة

المعنى — يقول انهن يخيفهن ويذعرهن نظرة المحب اليهن ويعجب لهذه الرقة وهذا الخور فيهن مع انهن اذا اشرن الى الليث — وهو اشد الحيوانات واقواها — باطراف البنان المخضوبة فقد ذللنه واسرنه بحسنها ورقتها. وفى البيت الجناس بين قوله « اشرن » وقوله « أسرن »

(٢) (وضعت خدى) وضع الخد هنا كناية عن الخضوع والاستسلام — (الكُنُس) بضمتين جمع كناس وهو مستقر الظباء فى الشجر — (الاكم) جمع اكمة وهي الموضع يكون اشد ارتفاعا مما حوله

المعنى — يقول : انه اذعن لحبهن ووهب لهن فؤاده وجعله لهن مقيلا وملعبا . يريد تمكن حبهن من قلبه وتفرغه للاشتغال بهن دون كل شيء سواهن

(٣) (اللّبد) جمع لبدة وهي الشعر المتراكب بين كتفى الاسد — (الغاب) جمع غابة وهي الشجر المتكاثف — (الاطم) القصر وكل حصن مبنيّ بالحجارة

المعنى — التفت الى محبوبته يقول لها : يابنت الرجل الذى هو كالاسد

مَا كُنْتُ أَعلمُ حتى عَنَّ مَسْكَنُهُ * أَنَّ المُنى وَالمنايا مَضْرِبُ الخِيَمِ (١)
مَنْ أَنْبَتَ الغُصْنَ مِنْ صَمْصَامَةٍ ذَكَرٍ * وَاخْرَجَ الرِّيمَ مِنْ ضِرْغَامَةٍ قَرِمِ (٢)

فى بأسه وعزه وامتناع حماه خبرينى اين اقابلك أفى الغاب مسكن الاسود امثال ابيك ؟ أم فى القصر حيث تنزل الغانيات امثالك ؟ ويابعد مابين المنزلين ! ..

(١) عنَّ الشيء بان وظهر – (المنايا) جمع المنية وهى الموت

المعنى – يريد « بالمنى » محبوبته او لقاءها و « بالمنايا » أباها او لقاءه مبالغة. و « مضرب الخيم » المكان الذى تضرب فيه وتقام اي حيث تنزل تلك المحبوبة فى جواربيها . وفى البيت الجناس

(٢) (الصمصامة) السيف – (الضرغامة) الاسد – (القَرِم) شديد الشهوة الى اللحم وهي هنا كناية عن شدة البأس والافتراس

اراد «بالغصن» و«الريم» معشوقته و«بالصمصامة» و«الضرغامة» اباها

المعنى – يتعجب من انه كيف يولد لمثل هذا الرجل الشبيه بالسيف فى صلابته ومضائه مثل هذه المعشوقة التى هي كالغصن فى اللدونة ولطف التثنى . وايضا كيف يكون لمن يشبه الاسد فى قوته وسطوته وبأسه مثل هذه التى تشبه الغزال فى رقته وضعفه

(٣) (العفة العذرية) نسبة لقبيلة بنى عذرة اشتهر شبابها بالعشق والعفاف

قيل لفتى من فتيانها كيف يقتلكم العشق وتذهب بنفوسكم الصبابة ؟

بيني وبينكِ من سُمْرِ القنا حُجُبٌ * ومثلها عفةٌ عُذْريةُ العِصَمِ (١)
لم أغشَ مغناكِ الا في غضونِ كرًى * مغناكِ ابعدُ للمشتاقِ من إرَمِ (٢)

فقال لان فى نسائنا جمالاً وفى رجالنا عفة

(١) (العِصَم) جمع عِصْمة وهى المنع والحفظ

المعنى - يقول : انه ليمنعنى من طروق دارك مانعان شديدان احدهما ماقامه اهلك حولك من سمر القنا والثاني ماينهانى من خلقى ويزجرنى من عفتى التى هى كعفة بنى عذرة

لم يبتئس بما حاطها اهلها دونه من اسباب القوة ولم يجعله مانعا وحده من موافاتها فى كسر بيتها فان العاشق اذا صدقت صبابته واسرف فيه الهوى خاض الى محبوبته ظُبَى السيوف ومشي اليها على اطراف الاسنة لايلويه شيء . وكثيرا ماتغفل العاشقون الاحراس ومشوا الى هواهم فى سر من العذال والرقباء غير متحشمين - لادرٌّ درهم - ولا وجلين

قال الشاعر :

تجاوزت احراساً اليها ومعشراً علىَّ حراصاً لو يسرون مقتلى

ولكنه جعل من عفتهما مانعاً ومن خلقهما حاجبا . قال الشاعر :

ويا عفتي مالي ومالك كلما هممت بامر همَّ لي منك زاجر

(٢) (غشي) المكان وافاه - (المغنى) المنزل الذى غنى به اهله - (الكرى) النوم - (ارم) - هى ارم ذات العماد التى ورد ذكرها في القرآن الكريم .قيل هى مدينة فقيل الاسكندرية وقيل

دمشق وقيل انها كانت ببلاد اليمن تسكنها عاد ثم درست آثارها ويؤخذ من تاريخ سبائك الذهب للبغدادي مثل ذلك

والاصح انها قبيلة بدليل قوله تعالى « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ اِرَمَ ذَاتِ العِمَادِ » على الابدال أو عطف البيان . وفي قراءة (بعادِ ارمَ) على الاضافة التي للبيان أو اضافة الابن للأب ويؤيده ماقيل في تفسير قوله تعالى (بعاد ارمَ) من أن ارم أبو عاد وهو ارم بن عوص بن سام بن نوح . وعلى هذا فقوله تعالى « ارم ذات العماد » أي ذات الشمم والرفعة والعلو ومنه قولهم فلان طويل النجاد رفيع العماد ولا عبرة بما احتمله بعض القصاصين من أنه كان ثَمَّت مدينة مبنية بالذهب والفضة وأن عَمَدَها كانت مرصعة باليواقيت والجواهر الى غير ذلك مما خرفوا به وتخرصوا فيه

والصحيح أن الكلام في قوله تعالى « لم يخلق مثلها في البلاد » على تقدير المضاف أي مثل أهلها في البأس والقوة على حد قوله تعالى (واسأل القرية) أي أهلها

ولا حاجة الى تقدير المضاف اذا كانت اسم قبيلة كما هو الاصح . والله اعلم

المعنى — يقول اني لما ذكرت من الحوائل بيني وبينك لاأزور دارك الا في المنام اذ لايستطيع ان يمنعني من ذلك مانع . اما في غيره فدارك على قربها ابعد من ارم على بعدها وامتناعها لما يطوف بها من تلك الحوائل الشديدة

يَانَفْسُ دُنْيَاكِ تُخفِي كُلَّ مُبكِيةٍ * وَإنْ بَدَالَكِ مِنهَا حُسْنُ مُبْتَسَمِ (١)

قال الشاعر

وان مقيمات بمنعرج اللوى لأقرب من ليلى وهاتيك دارها

وقرب الدار على هذه الحال أدعى الى شدة الوجد وزيادة اسباب الشوق قال الشاعر:

وابرح ما يكون الشوق يوما اذا دنت الديار من الديار

(١) (المبتسم) بمعنى المصدر أي الابتسام ويجوز أن يراد به الموضع أي الثغر . والاضافة فيه من اضافة الصفة للموصوف

المعنى — يعظ نفسه ويحذرها الاغترار بالدنيا وزينتها وينهاها عن الانخداع باسباب زخرفها واقبالها فان وراء ذلك مايبكي من جسيمات الحوادث وعظيمات النوازل قال الشاعر

هى الدنيا تقول بملء فيها حَذَارِ حَذَارِ من بطشى وفتكي

فلا يغرركم منى ابتسام فقولى مضحك والفعل مبكي

وترى الشاعر قد اقتضب القول اقتضاباً وانتقل من فن الى فن وهجر الغزل والتشبيب الى ذم الدنيا والتحذير من كيدها ومكرها بدون مناسبة ظاهرة

والاقتضاب — كما قال العلماء — مذهب الجاهليين والمخضرمين وقد وقع الكثير منه في كلام المحدثين . ومن أشهر ما اشتهر منه قول أبي تمام

لو رأى الله في الشيب خيراً جاورته الابرار في الخلد شيبا

كل يومٍ تبدي صروف الليالي خلقاً من أبي سعيدٍ عجيبا

طاب فيه المديح والتذَّ حتى　　فاق وصف الديار والتشبيبا

وانت ترى أنه لا مناسبة بين ذم الشيب وتهجينه وبين ما تبدى صروف الليالي من غرائب أخلاق الممدوح وعجائب سجاياه

قالوا : ومن الاقتضاب مايقرب من التخلص كقول القائل بعد البسملة والحمدلة « أما بعد » وانما قرب من التخلص لأنه يشوبه شيء من المناسبة

واذا اخطأتْ نظرتك الأولى وجه المناسبة بين قول الشاعر « يانفس دنياك — البيت » وبين معنى ماتقدمه وافقتْه ولا محالة نظرتك الثانية . ألست تراه قد تغزل وتشبب وعرض جنبه للسهام وجسمه للسقام وذاب شوقا على تلك المعشوقة التي ألقت بين جفون عينيه أشد الحرقة وفرَّقت بين أهدابها أبلغ الفُرقة حتى اذا حدثته نفسه بطلبها والوصول اليها كانت أمنع عليه من ساكن الاجم ، وكان مغناها أبعد للمشتاق من إرم ، ففاء الى نفسه وعلم ان الدنيا قد فتنته وعبثت به حتى جعلت له الى مناه أسباباً أوهن من خيوط الشمس . وما زالت به تهون عليه طلب المحال وترسله في طريق الأماني والأحلام ، حتى تصرَّمت آماله ، وتقطعت به حباله ، فأنشأ يذم هذه الدنيا وينعي عليها لؤمها وغدرها ، ويحذر الناس فتنتها ومكرها ، ورَجع بعد الضلالة الى الصواب، وضرب بينها وبين باطل الدنيا بامنع حجاب

قال الشاعر

رددت الى التقى نفسي فقرت　　كما رد الحسام الى القراب

فُضِي بتَقْوَاكَ فَاهَا كُلَّما ضَحِكَتْ * كَمَا يُفَضُّ أذَى الرَّقْشاءِ بالثَّرَمِ (١)
مَخْطُوبَةٌ مُنْذُ كَانَ النَّاسُ خَاطِبَةٌ * مِنْ أوَّلِ الدَّهرِ لَمْ تُرْمِلْ وَلَمْ تَئِمِ (٢)

---

(١) (الرقشاء) من الحيات المنقطة بالسواد والبياض. وأذى الرقشاء سمها — (الثرم) كسر السن من اصلها

المعنى — يقول لنفسه اصرفي عنك كيد الدنيا وبلاءها بالزهد فيها وعدم التطلع الى نعيمها الموبق والتزمي طاعة الله كلما تبرجت لك وارادتك على الوقوع في مناكرها ووصلت بباطل وعدها اسباب املك ورجائك كما تتقى الحية بكسر سنها واهراق سمها قال الشاعر

ما كان اشأم اذ رجاؤك قاتلي • وبنات وعدك يعتلجن ببالى
فالآن يادنيا عرفتك فاذهبي • يادار كل تشتت وزوال

(٢) (لم ترمل) ارملت المرأة اذا مات عنها زوجها

(لم تئم) آمت المرأة من زوجها تئيم. والايم التى لازوج لها سواء كانت بكرا أو كان لها زوج وفقدته

المعنى — يقول انه مازال الناس من اول عهدهم بالحياة راغبين في الدنيا متطلعين الى نعيمها وما زالت هى راغبة فيهم متوسلة باسباب فتنتها الى عقولهم فلاهى تتركهم وتسكن عنهم ولا هم يفترون عنها ويزهدون فيها وشبهها واياهم في فرط الرغبة واتصال اسباب الالفة بالمرأة المخطوبة التى لم يصدع بينها وبين خطيبها موت ولم تنزل بهما فرقة

يَفْنَى الزَّمَانُ وَيَبْقَى من إساءَتِهَا * جُرْحٌ بآدمَ يبكي منه في الأَدَمِ (١)
لا تَحْفِلي بجناها أوْ جنايتِهَا * الموتُ بالزَّهرِ مِثلُ الموتِ بالفحمِ (٢)

---

(١) (الادم) الجلد

المعنى — يقول مع ان حالها وحال الناس ما ذكرنا فان اساءتها ماتنتهي حتى ان آدم (عليه السلام) وهو اول الناس لا ينسى كيدها ومكرها الى آخر الزمان . وفي البيت الجناس بين آدم والأدم

(٢) « الجنى » مايجتنى من الشجرة ويقطف من ثمرها . قال تعالى « وجنى الجنتين دانٍ »

المعنى — رجع الى نفسه يروضها على عدم الاكتراث بالدنيا وينهاها ان تخف للذائذها او تتكره اذا جاورتها آلامها .. قال الشاعر

لااستقيل زماني عثرة ابدا ماشاء فليأتِ ان الشهد كالصابِ

ويعلمها ان سعادة الدنيا وشقاءها بمنزلة سواء وكلاهما المؤ غير ان احد الالمين يدخل على النفس غير متنكر ولا خادع . والآخر يستأذن عليها من ابواب غفلتها فيتزين لها ويتجمل حتى يصيب موضع الضعف منها ويجرى عندها مجرى اللذائذ الحقيقية

وقد ضرب الشاعر لهذا مثلا بالموت بالفحم والموت بالزهر فانه من اثر الاختناق على كلتا الحالين سواء ان هذا الاختناق من دخن الفحم او من أرج الزهر

كَمْ نَائِمٍ لايَرَاهَا وَهيَ ساهِرَةٌ * لَوْلاَ الأَمَانِيُّ وَالأَحْلامُ لَمْ يَنَمِ (١)
طَوْرًا تَمُدُّكَ فِي نُعْمَى وَعَافِيَةٍ * وَتَارَةً فِي قَرَارِ البُؤْسِ وَالوَصَمِ (٢)
كَمْ ضَلَّلَتكَ وَمَنْ تُحْجَبْ بَصِيرَتَهُ * إِنْ يَلْقَ صَابًا يَرِدْ أَوْ عَلْقَمًا يَسُمِ (٣)

---

(١) يريد بالنائم المغتر بالدنيا الغافل عن مصائبها وغيرها

المعنى — يقول إن كثيرا من الناس قد سكنوا الى الحياة الدنيا واطمأنوا بها وذهلوا عما يجرى فيها من الآيات والعبر وهى عاملة فيهم ترميهم بأصناف الكيد وتضطرهم الى أبواب الضر والأذى . ولو أنهم فطنوا لها ولم تخدعهم بباطل ماتمنيهم وتعدهم ماذاقت أجفانهم الغُمْض ولا وجد الكرى الى عيونهم سبيلا

قال الشاعر

الليل يعمل والنهار ونحن عمّـــا يعملان بأغفل الغفلات

(٢) (الوصم) بالتحريك الألم والمرض يقال وصّمته الحمى فتوصّم أي آلمته فتألم

المعنى — يقول إن الدنيا لاتستقر فى شأن الانسان على حال فمرة تصله بوجوه العافية والنعم ومرة ترميه بضروب الشقاء والألم وهذا التقلب في طبيعتها دليل على ضعتها وهوادة شأنها

قال الشاعر

لاتحمد الدهر فى بأساء يكشفها فلو طلبت دوام البؤس لم يدم

(٣) (الصاب) جمع صابة شجر مر — (العلقم) الحنظل — (يسم)

يَا وَيْلَتَاهُ لِنَفْسِي رَاعَهَا وَدَهَا * مُسْوَدَّةُ الصُّحْفِ فِي مُبْيَضَّةِ اللِّمَمِ (١)

سام يسوم رعى يرعى

يقول لنفسه كثيراً مافتنتك الدنيا ومن تفتن فقد سلبت عقله وملكت عليه حسه حتى أنه ليتجرع الصاب يراه من ألطف أنواع الشراب وينال من الحنظل يجده من أطيب ألوان الطعام

« وَالشَّرْيُ أَرْيٌ عند أكل الحنظل »

كل هذا كناية عن استرسال الناس فى طلب الشهوات الحقيرة يظنونها لضعف فطرهم لذائذ حقيقية وهي فى الحقيقة أوجاع وأسقام ويتحلَّبون على متاع الدنيا وهو زائل فانٍ

(١) (ياويلتاه) ويل مثل ويح إلا أنها كلمة عذاب يقال ويله وويلك وويلى . قال الأعشى

قالت هُرَيرة لما جئت زائرها ويلى عليك وويلى منك يارجل

وحذف المفعول فى قوله (دها) أي دهاها . قال تعالى « ماوَدَّعك رَبُّكَ وَمَا قَلَى »

(اللمم) جمع لمة وهي الشعر يجاوز شحمة الأُذن

(مسودة الصحف) كناية عن العمل السيء (ومبيضة اللمم) الشيب والاضافة فيهما من إضافة الصفة للموصوف

المعنى — يتفجع على نفسه وقد أخافه وخلع قلبه ماراه من نهوض الشيب في رأسه (وهو إنذار بدنو الأجل واقتراب ساعة الحساب)

رَكَضْتُهَا في مَرِيعِ المَعْصِيَاتِ وَمَا * أَخَذْتُ مِنْ حِمْيَةِ الطَّاعَاتِ لِلتُّخَمِ (١)

ولم يره قد ادَّخر لآخرته عملاً صالحاً تبيضُّ به صحيفته يوم تنشر الصحف وتجزى كل نفس بما عملت وهم لا يظلمون

(١) (ركضتها) أصل الركض تحريك الرجل . ويقال ركضتُ الفرس برجلي اذا استحثثته ليعدو . والمراد هنا مجرد اطلاق النفس وارسالها فى طريق غوايتها . وفيه تشبيه النفس بالسائمة تشبيهاً مضمراً فى النفس على سبيل الاستعارة المكنية

(المريع) الخصيب و (مريع المعصيات) من اضافة المشبه به للمشبه أي المعصيات التي هي شبيهة بالمرعى المريع تستطيبه الدابة . ففيه تشبيه ضمنيٌّ لمن يرسل نفسه في المعاصي بالبهيم الذى يستطيب المرعى ويسترسل فيه

(حمية الطاعات) كذلك من اضافة المشبه به للمشبه أي الطاعات التي هي شبيهة بالحمية وفيه أيضاً تشبيه ضمنى لمن يتعفف عن مساورة المعاصى بمن يمسك نفسه أن ينال مايهيضه من ألوان الطعام

(التخم) جمع تخمة قيل هي فساد الطعام في المعدة وقيل فساد المعدة بالطعام . وقوله (للتخم) أي للتحرز عن التخم

المعنى — فصّل فى هذا البيت ما أجمل في البيت السابق بقوله (مُسوَدَّةُ الصُّحف) فقال انه أطلق نفسه في فنون الشهوات وأسرف في تناول المعصيات كما يطلق الجواد في المرعى الخصيب ما احتمى عنها

هَامَتْ عَلَى أَثَرِ اللذَّاتِ تَطْلُبُهَا * وَالنَّفْسُ إِن يَدْعُهَا دَاعِى الصِّبَا تَهِمِ (١)
صَلاحُ أَمْرِكَ لِلأَخْلاقِ مَرْجِعُهُ * فَقَوِّمِ النَّفْسَ بِالأَخْلاقِ تَسْتَقِمِ (٢)

ولا تحسّب لعواقبها بطاعة الله تعالى واجتناب مانهي عنه كما يحتمى الآكل عن الطعام الضار وان التذّ طعمه وطاب مذاقه

(١) (هامت) الناقة على وجهها ذهبت ترعى

(داعي الصبا) اللهو والشباب والفتوة

المعنى — يقول ان نفسه انطلقت في التماس اللذات وتحصيلها وذلك شأن النفوس متى كانت في عنفوانها وتعرّفت اليها اللذات وتيسرت لها السبل الى اقتراف المنكرات الا اذا ادركها لطف الله تعالى وتولاّها بحفظه وعصمته فدرجت على الطاعة وسلكت في شباب سنها سبيل الهدى والعافية . وقد عد النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء فى حديث السبعة الذين يظلهم الله تعالى تحت ظله يوم لاظل الا ظله قال « وشاب نشأ فى طاعة الله » وقال صلى الله عليه وسلم « أحب الخلق الى الله تعالى شاب تائب وأبغض الخلق الى الله شيخ مُصِرٌّ على معاصيه »

وقد ذهب في الشطر الثاني من البيت مذهب المثل

(٢) **المعنى** — شرح فى الابيات المتقدمة علل تلك النفس وأدواءها وقرر في هذا البيت طبها ودواءها وانه لامنجاة لها ولا عاصم يعصمها من التحدر في تلك المهالك الا بتربية الاخلاق الكريمة وإنماء ملكة التقوى حتى يكون منها بين النفس وبين الرذائل حجاب غليظ فلا تطولها

وَالنَّفْسُ مِنْ خَيْرِهَا فِي خَيْرِ عَافِيَةٍ * وَالنَّفْسُ مِنْ شَرِّهَا فِي مَرْتَعٍ وَخِمِ (١)
تَطْغَى إِذَا مُكِّنَتْ مِنْ لَذَّةٍ وَهَوَى * طَغْيَ الجِيَادِ إِذَا عَضَّتْ عَلَى الشُّكُمِ (٢)

شهوة ولا تسطو عليها منقصة . قال الشاعر

لنعم فتى التقوى فتى ضامر الحشى   خميص من الدنيا نقيّ المسالك
فتى ملك اللذات لايَعْتَبِدْنَهُ   وما كل ذي لبٍّ لهن بمالك

وذلك أبلغ حال لامساك النفس وتعففها

لاترجع الأنفس عن غيها   مالم يكن منها لها زاجر

ومن أمثل مايروى من الشعر في فضل الاخلاق واثرها في النفوس قول صاحب القصيدة نفسه

وانما الامم الاخلاق مابقيت . فان هم ذهبت اخلاقهم ذهبوا .

وقد جرى في البيت مجرى المثل

(١) (المرتع) رتعت الماشية ترتع رتوعا اكلت ماشاءت و (نرتع) تنعم والمرتع موضع الرتوع —(الوخم) الردئ الوبئ

المعنى — يريد ان النفس مادامت آخذة بخير الخلال واكرمها فهي اعلا السعادات وأوفاها واذا امسكت برذولها واخذت بالدون منها صارت لامحالة الى شر حال وكان عاقبة امرها خسرا

(٢) (الشكم) جمع شكيمة وهي الحديدة المعترضة في لجام الفرس

المعنى — شبه طغيان النفوس وسورتها لانتهاب مايقع لها من اللذائذ واسرافها في ابواب هواها بالخيل اذا عضت على شكيمتها فانها على

إنْ جَلَّ ذَنْبي عَنِ الغُفْرانِ لي أمَلٌ * في اللهِ يَجْعلُني في خيرِ مُعْتَصَمِ (١)
أُلْقِي رَجائِي اذا عزَّ المُجيرُ على * مُفرِّجِ الكَرْبِ في الدَّارينِ والغُمَمِ (٢)

هذه الحال تكون أشد ما تكون ثورة وهياجا

(١) (معتصم) عصمة الله العبد حفظه مما يوبقه ويهلكه. و(المعتصم) الموضع منها أو بمعنى المصدر أي الاعتصام

غفران الذنب مهما كان قدره ممكن فى ذاته والله تعالى لايخرج عن قدرته شيء من الممكنات مايقع منها وما لايقع اصلا وقد جاء الشارع الحكيم ببيان مايحتمل الوقوع بالفعل في هذه المسألة بعينها فقال عز من قائل (ان الله لايغفر ان يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء) ولعله قد استولت الدهشة على الشاعر والهيبة من الله تعالى لما اسلف من الذنب العظيم حتى وقع في مخيلته ان مثل هذا الذنب لايغفر له. فليس مراده مايتبادر من ظاهر قوله من ان مغفرة الله تضيق عن مثل هذا

ولكنه رجع واستمسك بحبال الامل في عفو الله ورحمته الواسعة

وفي الحديث القدسي (انا عند ظن عبدى بي إن خيراً فخير وان شراً فشر)

وقال أصله في هذا المعنى

يانفس لاتقنطي من زلة عظمت   ان الكبائر في الغفران كاللَّمَمِ

(٢) (الغمم) جمع غمة وهي الهم والحزن

(المجير) هنا المنقذ — (اذا عز المجير) أي يوم القيامة

إذا خفضتُ جناحَ الذلِّ أسألهُ * عِزَّ الشفاعةِ لمْ أسألْ سوى أَمَمِ (١)

(مفرج الكرب فى الدارين) هو الرسول الأمين صلوات الله وتسليماته عليه لأنه أخرج الناس فى الدنيا من ظلمة الغواية الى نور الهداية وهو فى الآخرة صاحب الشفاعة العظمى — ورجاؤه — فى البيت سؤاله الشفاعة التى ذكرها في البيت الآتى

وقد تخلص الشاعر فى هذا البيت الى المقصود بأبدع أسلوب

(١) (الأَمَم) اليسير

(خفض جناح الذل) كناية عن شدة التواضع والانكسار. وقد وقعت هذه الكناية فى الكتاب العزيز قال تعالى « وَاخْفِضْ لَهُما جناح الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَة»

« الشفاعة » سؤال الخير للغير وهي للنبي صلى الله عليه وسلم سؤاله يوم القيامة كشف الضر وتفريج الكرب عن المؤمنين

وأحاديث الشفاعة الدالة عليها صريحا كثيرة ورواتها كثيرون وطرقها عدة وهي و إن اختلفت ألفاظها إلا أنها مجمعة على أن للنبي الشفاعة يوم القيامة فى مواطن

المعنى — معنى البيت موصول بالبيت قبله. يقول : إذا ضاقت بي الحيل يوم القيامة وملكتنى الأوزار والآثام ولَجّتْ فى التماسي العقوبات ولم أجد من يعصمني من العذاب فزعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوسلت اليه بضعفى وذلى وانكسارى وتوسلت به صلى الله

وإن تَقدَّمَ ذوتقوى بصالحةٍ * قدَّمتُ بين يديه عبرةَ النَّدم (١)

لزِمتُ بَابَ أَميرِ الأنبياء ومَنْ * يُمسِكْ بِمفتاح بَابِ اللهِ يَغتنِمِ (٢)

عليه وسلم الى عفو الله تعالى ومغفرته . وسؤاله مثل هذا هين عليه يسير كيف لا وهو صاحب الشفاعة العظمى

روى البخارى بسنده الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم « يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا » الى أن قال فيه « فيؤذن لي عليه فاذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ماشاء الله أن يدعني ثم يقول يامحمد ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعط » الحديث

وفى البيت الطباق

(١) (العَبرَة) تحلُّب الدمع

المعنى — يقول : إذا نفع المتقين ماقدموا من الطيبات وأسلفوا من الحسنات توسلت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببكائى وتندمى على مافرط منى فقبلنى وشفع لي

(٢) (أمير الأنبياء) هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه خيرهم وأفضلهم على الاطلاق — و(لزوم بابه) كناية عن الالتجاء الى كرمه وعدم الانحراف عن التوسل به فى قضاء الطلبات : وهو صلى الله عليه وآله وسلم (مفتاح باب الله) لأن فى اتباعه الوسيلة الى الدخول فى رحمة الله ورضوانه وفى الاستشفاع به السبيل الى عفوه وغفرانه

فكلُّ فضلٍ وإحسانٍ وعارفةٍ * مابينَ مُستلمٍ منهُ ومُلتزمِ (١)
علقتُ مِنْ مَدحه حبلاً أعزُّ به * في يوم لاعزَّ بالانساب واللُّحَمِ (٢)
يُزرِي قريضي زُهيراً حين أمدحُهُ * ولا يُقاسُ الى جُودي ندي هَرِمِ (٣)

---

(١) (العارفة) المعروف

المعنى — البيت بمثابة العلة لمعنى البيت الذى قبله فقد ذكر فيه مبلغ الغنيمة في الاستمساك بحبله صلى الله عليه وسلم وانه مصدر كل فضل واحسان ومعروف فان الله تعالى أجرى على يديه كل ما وصلنا به من ضروب الخير ووجوه البر .

وقال أناس صف لنا بعض جوده . فقلت لهم من عنده كل ما عندى
واذا لم يكن من بر الا هدايتنا الى العقيدة الصحيحة والصراط المستقيم المفضى الى سعادة الدارين لكفى

(٢) (اللُّحم) جمع لُحمة وهي القرابة

المعنى — يقول : انى بتمداحى له قد اتصلت بحبل اعتز به يوم لا يغنى الناس ما أوتوا من الجاه العريض والنسب الرفيع

(٣) (يزرى) يعيب .

القريض الشعر

(زهير) هو زهير بن أبى سلمى المُزَني كان سيداً غنيا في الجاهلية معروفاً بالحلم والحكمة شاعراً فحلاً وهو صاحب المعلقة المشهورة التى أولها

أمِنْ أُمّ أوفى دمنةٌ لم تكلَّمِ * بحومانةِ الدرَّاج فالمتثلَّمِ

توفي قبل الاسلام بقليل . ومن أولاده كعب صاحب « بانت سعاد » وبُجَيْر وهما صحابيان رضي الله عنهما

(هَرِم) بكسر الراء هو هرم بن سنان بن أبي حارثة المُرّي مدح زهير هرماً فأحسن ، ووصله هرم فاجزل الصلة وبالغ في العطاء. ومن أشهر ما قال فيه زهير

من يلق يوماً على علاته هرماً . يلق السماحة منه والندى خلقا

المعنى — يقول : انى اذا مدحت الرسول صلى الله عليه بزّ شعري شعر زهير بن أبي سُلْمَى — على براعة قوله ونخامة نظمه — لا أطمع في عرض الدنيا طمع زهير في صلات هرم ونواله لانى أكرم من هرم وأجود ، فانا أعظم منه وفراً وأكثر مالا بل أبغي بقريضي محض رضاء الرسول الكريم ، وأعتزازى بمدحه يوم القيامة على ما قدمّ بك في البيت المتقدم

لم يجعل شعره أبلغ من شعر زهير مطلقاً بل قيده بما اذا كان مدحاً للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله « حين أمدحه » لان مدحه يزيد القول بهجة وشرفاً وجلالا

قال الشاعر

ما ان مدحت محمداً بمقالتى لكن مدحت مقالتى بمحمد

(١) (صفوة البارى) مصطفاه — (البغية) المراد — (النسم) جمع نسمة وهي النفس أو هي الانسان

وَصَاحِبُ الْحَوضِ يَوْمَ الرُّسْلُ سَائِلَةٌ * مَتَى الوُرُودُ وَجِبْرِيلُ الأَمِينُ ظَمِي (١)

المعنى — ان محمداً صلى الله عليه وسلم مصطفى الخالق من خلقه وهو خير البرية وأفضل الناس أجمعين . قال صلى الله عليه وسلم « آدم فمن دونه تحت لوائى ولا فخر » وقال عليه الصلاة والسلام « انا أكرم الاولين والاخرين على الله ولا فخر » وهو رحمته لعباده قال تعالى « وما أرسلناك إلاَّ رحمة للعالمين » وهو مراده أي المقصود الاعظم من خلق الخليقة

(١) (وجبريل الامين ظمي) الملائكة لا تظمأ فلعل مراده بالظمأ هنا لازمه وهو الطلب أي للناس بمعنى ان حاله تقتضي ذلك أشفاقاً على حالهم لما يرهقهم من شدة الظمأ وحرج الموقف

و(الحوض) ثابت بالاحاديث الصحيحة الواردة من عدة طرق . روى حديثه البخارى ومسلم والترمذى والحاكم والنسائى والبهيقى وابن حبان والطبرى وأبو يعلى وأبو نعيم وابن أبى الدنيا والبزار حتى قال القاضي عياض رحمه الله ان احاديث الحوض صحيحة والايمان به فرض اه وقال القاضى أيضاً وحديثه (أي الحوض) متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة فذكره مسلم من رواية بن عمر وأبي سعيد وسهل بن سعد وجندب وابن عمرو بن العاص وعائشة وأم سلَمَة وعُقبَة بن عامر وابن مَسْعُود وحُذَيفَة وحارث بن وهب وغيرهم من جلة الصحابة . ورواه غير الامام مسلم عن الصديق وكثيرين من الصحابة الى ان قال القاضى وفي هذا مايقتضى كون الحديث متواتراً

سَنَاؤُهُ وَسَنَاهُ الشَّمْسُ طَالِعَةً * فَالْجِرْمُ فِي فَلَكٍ وَالضَّوْءُ فِي عَلَمِ (١)
قَدْ أَخْطَأَ النَّجْمَ مَا نَالَتْ أُبُوَّتُهُ * مِنْ سُؤْدُدٍ بَاذِخٍ فِي مَظْهَرٍ سَنِمِ (٢)

وقال بعض شراح البخاري ان الصحابة الراوين للحوض نيف وثلاثون وقال القرطبي يجب على كل مكلف ان يصدق به لثبوته بالاحاديث التي يحصل بمجموعها العلم القطعي

وذهب بعض المفسرين فى قوله تعالى (انا أعطيناك الكوثر) الى ان المراد به الحوض. والظرف مضاف للجملة الاسمية بعده فى قوله «يوم الرسل سائلة» أي يوم سؤال الرسل وذلك يوم القيامة

(١) (سناؤه) رفعته — و (سناه) نوره — (والعلم) هنا العالم

المعنى — لئن كانت الحقيقة المحمدية قد سمت على جميع العوالم وعلت على كل الكائنات فان نوره صلى الله عليه وسلم عم البرايا جمعاء، وشاع في الارض والسماء، كما يتصل نور الشمس بآفاق هذا العالم السفلي وجرمها جار فى مذهبها الرفيع سابح في فلكها العلوي بل ان حقيقته صلى الله عليه وسلم أسمى وأرفع، ونوره أعم وأنفع

(٢) (السؤدد) السيادة

(باذخ) عال — (سنم) ككتف مرتفع

(ابوته) أي ذووا أبوته والابوة المعنى المأخوذ من الأب كالاخوة والبنوة لانه وان كان جامداً يؤخذ منه معنى مصدري كما قالوا التحجر من الحجر والتلبن من اللبن فالمراد (بالابوة) هنا أباؤه أي أبوه وأجداده

يقول ان النجم على علوه وارتفاعه لم يدرك ما أدرك أصوله صلى الله عليه وسلم من المجد الخطير والشرف الرفيع

وانا ذاكرون لك نسبه الشريف وما كان لبيته الكريم من جليل الخطر وعظيم المنزله

فهو صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مَنَاف بن قُصَيّ بن حَكِيم بن مُرَّة بن كَعْب بن لُوَىّ بن غَالِب بن فِهْر ابن مَالِك بن النَّضْر بن كِنَانَة بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكَة بن الْيَاس بن مُضَر ابن نزار بن معد بن عدنان

قال العلماء ان النسب الى عدنان ثابت باجماع الامة. وما بعده موضع الخلاف فجملة أجداده عشرون عدا أبيه عبد الله

قال الزهري ان عبد الله كان أجمل قريش فذكر لآمنة بنت وهب جماله وصفته وقيل لها هل لك ان تزوجيه فاجابت فمضى به أبوه فزوجه أياها اه قال بعضهم ان عبد الله بن عبد المطلب أقبل من الشام في عير لقريش فنزل بالمدينة وهو مريض فتوفى ودفن بها وآمنة حامل بالنبيّ صلى الله عليه وسلم

وأما عبد المطلب جده الاول فاسمه « شيبة » لانه كان في رأسه شيبة ويقال له شيبة الحمد تفاؤلاً بحمد الناس له. كان مفزعاً لقريش في النوائب وملجأهم فى الامور وشريفهم وسيدهم غير مدافع وكان يقال له الفياض لكثرة جوده. والمطعم لطير السماء لانه كان يلقى الطعام للطير والوحوش. وكان حليما حكيما حرم على نفسه الخمر ورفض في آخر عمره

عبادة الاصنام فوحد الله تعالى وتؤثر عنه سنن جاء الشرع بها . منها الوفاء بالنذر والمنع من نكاح المحارم والنهي عن قتل الموؤدة وتحريم الزنا وغير ذلك وكان وقوراً مهيبا . روي أن رسول أَبْرَهَة لما دخل مكة ورآه خضع له وخر مغشياً عليه فكان يخور كما يخور الثور عند ذبحه ولما رآه أبرهة اكرمه وأجلسه الى جنبه وتقدم الى الترجمان بسؤاله عن حاجته فسأله الابل ولم يسأله البيت فقال له أَبْرَهَةُ اتكلمني في الابل وتدع بيتا هو دينك ودين آبائك فقال عبد المطلب أنا رب الابل وللبيت رب سيمنعه . قال أبرهة ما كان ليمتنع مني ورد الابل فجعلها عبد المطلب هَدياً للبيت .

وأما هاشم جده الثاني فاسمه عمرو العلاء لعلو مرتبته وهو أخو عبد شمس قيل كانا توأمين وان احدهما ولد قبل صاحبه وأصبع له ملتصقة بجهة صاحبه فنحيت عنها فسال من ذلك دم فتُطيِّرَ من ذلك فقيل تكون بينهما دماء . ووقعت العداوة بين هاشم وبين ابن أخيه امية بن عبد شمس لان هاشماً ساد قومه بعد ابيه عبد مناف فتكلف أمية ان يصنع صنعه ويذهب مذهبه ليشاركه في المجد ويساهمه في المكرمات فاعجزه امره فعيرته قريش وقالوا له مالك وَالتَّشَبُّهَ بهاشم فغضب ونال من هاشم ودعاه الى المنافرة قال فاني أنا فرك على خمسين ناقة تنحر ببطن مكة والجلاء عنها عشر سنين فرضي وتحاكما الى الكاهن الخزاعي بِعُسْفَان فقال لقد سبق هاشم أمية الى المفاخر فنصر هاشما على أمية فعاد هاشم الى مكة ونحر الابل وأطعم الناس وخرج أمية الى الشأم فلبث فيها عشر سنين . وكان يقال لهاشم واخوته « اقداح النضار » أي الذهب وانما قيل له هاشم لانه أول من هشم الثريد من العرب

أي ثرده وأطعمه المساكين

قال الشاعر عمرو العلاذو النداء لا يسابقه * مر السحاب ولا ريح تجاريه

وقال الشاعر عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

وقيل ان أول من هشم الثريد وأطعمه الناس انما هو قصي

وكان هاشم بعد أبيه عبد مناف على السقاية « وهي سقاء الحجيج كله الماء العذب » والرفاده « وهي اطعام الطعام لمن لا سعة له من الحجاج فكانت يمد لهم الاسمطة في أيام الموسم » واتفق وهو بالشام أن أصاب أهل مكة قحط شديد فاشترى دقيقاً وكعكا وقدم به مكة فهشم الخبز والكعك ونحر الجزر وجعل الثريد واطعم الناس حتى أشبعهم. وكان يقال له سيد البطحاء قال بعضهم لم تزل مائدته منصوبة لا ترفع في السراء والضراء

وأما عبد مناف جده الثالث فاسمه المغيرة وكان يقال له القمر لحسنه وبهائه وكان يقول في كتاب له أوصى قريشاً بتقوى الله جل وعلا وصلة الرحم. وكان الجد الرابع لعثمان بن عفان والتاسع للامام الشافعي رضي الله عنهما

وأما قصي الجد الرابع فاسمه زيد وأمه فاطمه بنت سعد بن سيل وقيل له قُصَيّ لانه قصى أي بعد الى قضاعة مع أمه. أخبرته أمه بان كاهنة رأته صغيرا فقالت لها ان ولدك هذا يلي أمرا جليلا فلما انتهى الى مكة مع حجاج قضاعته أكرمه قومه وقدموه عليهم لموضع نسبه وما رأوا فيه من آيات النُّبل فساد فيهم وكان أمر مكة بيد حليل الخزاعي — وهو آخر من ولي أمر البيت والحكم بمكة من الخزاعيين — فلما مات تولى قصي أمر البيت واستلم مقادة الحكم بعد اخراج خزاعة من مكة لان قريشاً ادنى الى اسماعيل

عليه السلام من خزاعة . وقيل أن حُلَيْلاً هو الذي ولّى قصياً الامر لانه زوج ابنته حُبّى وقيل أن حُلَيْلاً جعل ذلك لابنته فقالت له لا اقبل لى بفتح البيت واغلاقه فاوصى به لابي غبشان الخزاعى واسمه سليم بن عمرو

فلما صار اليه أمر البيت وسدانة الكعبة اجتمع مع قصي بالطائف على شراب فأسكره قصي واشتري منه مفاتيح البيت بزق خمر فعيرته العرب فانكر البيع وقال انما رهنتها له فتنازعوا ووقعت الحرب بين قصي وخزاعة فظهرت قصي على خزاعة وأجلوهم عن مكة وصارت لأولئك مفاتيح الكعبة لا ينازعهم فيها منازع . قال الشاعر فى هذا المعنى

أبو غُبْشَان أظلم من قصيٍّ ... وأظلم من بنى فِهْر خُزَاعه

فلا تَلْحُو قريشا فى شراه ... ولوموا شيخكم اذ كان باعه

وذهب المثل بتلك الصفقة فيقال « اخسر من صفقة ابي غُبْشَان »

ولما أفضى أمر البيت الى قصي وولي الحكم جمع قبائل قريش فانزلهم ابطح مكة وكان بعضهم في الشعاب ورؤوس جبال مكة فتقسموا منازل خزاعة فسمى قصيّ لذلك مُجَمِّعاً . قال الشاعر

ابوكم قصي كان يدعى مُجَمِّعاً ... به جمع الله القبائل من فِهْر

فكان قصي أول ولد لكعب بن لؤي أصاب ملكا أطاعه به قومه فكانت اليه « سدانة » البيت فهو الذي يفتح الكعبة وينقلها وكانت اليه « السقاية » فلا ينال احدٌ بمكة الماء الا من سقايته وكانت اليه « الرفاده » فلا يأكل احد من اهل الموسم طعاما الا من طعامه وكانت في دار « النَّدْوَة » فلا تمضى قريش فى امر من امورها الا قامت على تدبيره في داره وكان لا يعقد لقريش « لواء » حربهم الا هو . فهو صاحب الحجابة والسقاية والندوة

واللواء والرفادة

وكانت قريش تجعل من أموالها في كل موسم خرجا لقصي كان قد ضربه عليهم فيصطنع به طعاما للحجاج ينال منه من لا سعة له ولا زاد فأداؤهم الخَرْج واصطناعه الطعام للعافين من الحجاج هو « الرفادة » وقد صار ذلك عادة على قومه في الجاهلية حتي قام الاسلام فكان بعض السلاطين يصنع كل عام الطعام بِمِنىً لفقراء الحجاج

وأما جده الخامس فاسمه حَكِيمٌ وقيل عروة ولقب بكلاب لانه كان يحب الصيد واكثر صيده كان بالكلاب وهو الجد السادس لآمنة أمه صلى الله عليه وسلم فهو ملتقى نسب أبيه بنسب أمه

وأما مُرَّةُ جده السادس فهو الجد السادس ايضاً لابي بكر الصديق رضي الله عنه . وفي مُرَّة ايضاً يجتمع نسب الامام مالك بنسب الرسول صلى الله عليه وسلم

وأما كَعْبٌ جده السابع فهو الجد الثامن لعمر رضي الله عنه . كان يجمع قومه يوم العَرُوبَة « أي يوم الرحمة » وهويوم الجمعة فيعظهم ويذكرهم بِمَبْعَث النبي صلى الله عليه وسلم وينبئهم بانه من ولده ويأمرهم باتباعه ويقول سيأتي لحرمكم نبأ عظيم ، وسيخرج منه نبي كريم ، وقيل انه كان يقول

على غفلة يأت النبي محمد   فيخبر أخبارا صدوق خبيرها

قيل انه أول من قال « أما بعد » فكان يقول أما بعد فاسمعوا وافهموا واعلموا وتعلموا . وقيل له « كعب » لارتفاع شانه في قومه لان « الكعب »

هو العالى المرتفع . وكان من شرف الموضع وعلو المحل بحيث كان القوم يؤرخون بموته حتى عام الفيل فأرخوا به ثم بموت عبد المطلب حتى ظهر الاسلام وأرخ أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه بالهجرة

وأما جده الثامن فهو لُؤَيّ — والهمز فيه أكثر من تركه — وفي سبب تصغيره خلاف وأمه عاتكة بنت يخلد بن النضر بن كنانة

وأما جده التاسع فغالب وأمه ليلى بنت الحرث بن تميم بن سعد بن هُذَيْلِ بن مُدْرِكَة

وأما فِهْرٌ جده العاشر فهو جمّاع قريش وأمه جندلة بنت عامر . سماه أبوه فِهراً وقيل هو لقب واسمه قريش وسمي بذلك لانه كان « يقرش » أي يلتمس خلة المحتاج فيسدها بماله وكان بنوه « يقرشون » اهل الموسم عن حوائجهم فيرفدونهم فسموا لذلك « قريشا » وهو الذي أسر حسان بن كلال حين أقبل مع حِمْيَر وغيرهم من اليمن يبغون نقل حجارة الكعبة من مكة الى اليمن حتى يتحول الحاج اليهم فخرج فهر هذا في قبائل كنانة وخزيمة وأسد وغيرهم وكان رئيسهم فهزموا حِميراً بعد القتال الشديد وردوهم وأسروا ملكهم

وفهر هذا هو الجد السادس لابي عُبَيْدة بن الجراح

وأما مالكَ جده الحادى عشر فامه عَكْرَشَة بنت عدوان وهو الحارث ابن عمرو بن قيس ولقب بمالك لانه ملك العرب وساد عليهم

وأما النَّضْرُ جده الثانى عشر فاسمه قَيْس وأمه بَرَّة بنت مُرّ بن أُدّ بن طابخة . قيل انه جماع قريش وقد تقدم ان جماعهم فِهر وعليه يكون الذين

فوق فهر ليسوا من قريش

وأما كِنَانَة جده الثالث عشر فأمه عوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان ودعي بكنانة لانه كان « يكنّ » أمور قومه وكان جماع سرهم

وأما خُزَيْمَةَ جده الرابع عشر فامه سلمي بنت اسلم القُضَاعيَّة وكان هُذَيْلٌ اخاه لابيه وأمه وتغلب أخاه لامه

وأما مُدْرِكَةُ جده الخامس عشر فاسمه عمرو وأمه ليلى بنت حُلوان. وقيل له « مدركة » لانه أدرك كل عز وفخر اتسق لآبائه . وكان يظهر فيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأما إلياسُ جده السادس عشر فامه الرَّباب بنت حَيْدَةَ بن مَعَدّ وكان عند العرب عظيم القدر فكانوا يدعونه كبير القوم وسيدهم وكانو لايمضون أمراً بدونه وهو أول من أهدى البُدْن الى البيت . وكان للعرب مثل لقمان الحكيم في قومه . وجاء « لاتسبُّوا الياس فانه كان مؤمنا »

وأما مُضَر جده السابع عشر فامه سَوْدَةَ بنت عَكّ وأخوه لابيه وأمه اياد . ويقال له مُضَرَ الحَمْرَاء لانه أخذ من ميراث ابيه الذهب وترك الخيل لاخيه ربيعة . وجاء « لاتَسبُّو مُضَر ورَبيعَةَ فانهما كانا موءمنين » ومن قوله « من يزرع شراً يحصد ندامة »

وأما نِزَار جده الثامن عشر فامه معانَة بنت جَوْشَم وكنيته أبو ربيعة . وكان يُرَى نور النبي صلى الله عليه وسلم بين عينيه . وهو أول من كتب الكتاب العربيَّ على الصحيح . وفى نزار يجتمع نسب الامام

احمد بنسبه صلى الله عليه وسلم

وأما مَعَدّ جده التاسع عشر فامه مهدد بنت اللهم وقيل له معدّ لانه كان صاحب حروب وغارات وما حارب أحداً لا وكان النصر معقوداً بلوائه

وأما عدنان جده العشرون فهو آخر النسب المتفق عليه كما مر بك لايختلف فيه النسابون فلا نخوض فيمن يليه لعدم الوثوق بصحته

فانت ترى انه قد اجتمع لبيته صلى الله عليه وسلم من أسباب السيادة والمجد وكرم المنبت وشرف المحل مالم يجتمع لبيت غيره واتسق لجدوده من المكرمات مالم يُسهم بمثله لعامة العرب — على كثرة قبائلهم وتعدد فروعهم — وحسبك ان يجتمع لقُصَيٍّ جده الرابع كل وجوه الرياسات التي تقسَّمَتْها العرب وتنازعتها القبائل لأنها كانت ملاك شرفهم ، وجماع سيادتهم وفخرهم ، في الظفر بالخلة الواحدة منها أكرم الموضع واعلا المنزلة حتى أن القبائل لتظل على طول الادهار والازمان تنتسب في مجدها اليها وتصل بها حبلها ، وترتبط بها أصلها ، فما ظنك بها مجتمعة كلها في بيت واحد فى رجل واحد هو قُصَيٌّ جده الرابع صلى الله عليه وسلم يملكها عن الناس أجمعين غير مُدَافَع . قال القاضى عياض . أما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه فما لايحتاج الى إقامة دليل عليه ، ولابيان مشكل ولا خفي منه ، لانه نخبة بني هاشم ، وسلالة قريش وصميمها ، وأشرف العرب وأعزهم نفراً من قبل ابيه وأمه ، ومن أهل مكة أكرم بلاد الله على الله وعلى عباده

قال صلى الله عليه وسلم ان الله اختار خلقه فاختار منهم بنى آدم ثم

اختار بنى آدم فاختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم بنى هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارنى منهم فلم أزل خياراً من خيار

وقال صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلنى من خيرهم من خير قرنهم ثم تخير القبائل فجعلنى من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلنى من خير بيوتهم فانا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً

وقال صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة واصطفى من بنى كنانة قريشاً واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم

نُمُوا اليه فزادُوا في الورى شرفاً ورُبَّ أصلٍ لفرعٍ في الفخار نُمي (١)

حَوَاهُ في سُبُحَاتِ الطُّهْرِ قبلهمُ نُورانِ قاما مقامَ الصُّلْبِ والرَّحِمِ (٢)

---

(١) (نمو) نُسِبُوا

قد مرّ بك مالآبائه من خطر القدر ، ونباهة الذكر ، وقدرأيت بعض ماوصلهم الله به من الشرف الرفيع ، والجاه العريض ، ونصيبهم في المكرمات وما كان لهم من الحسب الحسيب والعرق العريق والهمة القعساء والعزمة الماضية التي قصر عنها النجم الثاقب ، ولم تبلغها سابحات الكواكب . مع هذا كله فقد ازدادوا بنسبتهم اليه صلى الله عليه وسلم شرفا على شرف ومجداً على مجد

واذا كانت الحال قد جرت بان تشرف الفروع باشتعابها اصولها وتنبُه الابناء بانتسابها الى آبائها فالامر هنا جاء على غير هذا الحكم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لآبائه وجدوده المنتمى في الفخر والعظم ، والمنتهى في الانتساب الى المجد والكرم

وكم أب قد علا بابن ذرى شرف كما علت برسول الله عدنان

(٢) (السُّبُحَات) بضمتين مواضع السجود وسُبُحات وجه الله انواره وقد ورد أن الله تعالى خلق الحقيقة المحمدية من نوره فكانت تدور في العرش ويفاض عليها من أنوار تجلياته فذانك النوران اللذان احتوياه صلى الله عليه وسلم قبل ان تحتويه الاصلاب والأرحام « وقاما له مقامها » روى عبدالرازق عن جابر بن عبد الله الأنصاري . قال قلت

لمّا رآهُ بحيرا قالَ نعرِفُهُ ۝ بِمَا حفظْنا من الأَسماءِ والسِّيمِ (١)

يارسول الله بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء قال ياجابر ان الله تعالى خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره الحديث . وفي حديث عن ابن القطان كنت نوراً بين يدي ربي قبل خلق آدم . الحديث . وفى الخبر لما خلق الله آدم جعل ذلك النور في ظهره فكان يلمع في جبينه . قال الشاعر

كنت نوراً وكان ثمَّ عماءٌ ۝ ونبياً وليس طينٌ وماءُ

(١) (السّيم) كعنب جمع سيمة وهي العلامة

(بحيرا) بفتح الباء وكسر الحاء الراهب النصراني المشهور

ورد كثير من الأخبار عن رؤية بحيرا له صلى الله عليه وسلم . من ذلك مارواه الترمذي وحسنه ، والحاكم وصححه ، ان سبعة من الروم ارادوا قتله وهو مع عمه ابى طالب فى سفره الى الشأم فاستقبلهم بحيرا فقال ماجاء بكم قالوا ان هذا النبي خارج فى هذا الشهر فلم يبق طريق الا بُعث اليها باناس قال أفرأيتم امراً اراد الله ان يقضيه هل يستطيع احد من الناس رده قالوا لا فبايعوه . قال الحافظ بن حجر هذا الحديث رجاله ثقاة

وروي البيهقي وابو نعيم ان بحيرا رآه وهو في صومعته في الركب حين اقبلوا وغمامة بيضاء تظله من بين القوم ثم اقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريباً منه فنظر الى الغمامة حين اظلت الشجرة وتهصّرت اغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتي استظل تحتها فقام واحتضنه وجعل يسأله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره

سائلْ حراءَ ورُوحَ القُدُسِ هلْ علما * مصُونَ سرٍّ عنِ الأدراكِ منْكتِمِ (١)

ويخبره صلى الله عليه وسلم فيوافق ذلك ماعنده من صفته ورأى خاتم النبوّة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده

وروى ابن ابي شيبة انه أخذ بيده وقال هذا سيد العالمين هذا يبعثه الله رحمة للعالمين

(١) (حراء) جبل بمكه فيه غار كان يتعبد فيه النبي صلى الله عليه وسلم قبل الرسالة. والمفاعلة من قوله «سائل» على غير بابها والمراد «اسأل» وعبر بالمفاعلة للمبالغة

(روح القدس) جبريل عليه السلام. قال تعالى «قُلْ نَزَّلَهُ روحُ القُدُسِ من ربّك بالحقّ» والاضافة فيه من اضافة الموصوف للصفة أي الروح المقدس. والقدس الطهر

(مصون سر) من اضافة الصفة للموصوف اي السر المصون وقوله «منكتم» وصف مؤكد «للسر المصون» لان السر لايكون الا كذلك. وتنكير «سر» للتعظيم

المعنى — ان الله تعالى قد أودعه سراعظيما هيأه به لافاضة الكمالات الإلهيه وَاعدَّه لأعلى مراتب النبوة والرسالة ما اظهر على ذلك أحداً حتى ولا جبريل الذي هو أمين وحيه الهابط برسالته الى نبيّه ولا (حراء) الذي لزمه النبي صلى الله عليه وسلم واتخذه مَثابَةً ومُتعبَّداً أي بحيث لو أدرك هذا الجبل وعقل مافقه هذا السر

كَمْ جِيئَةٍ وَذَهَابٍ شُرِّفَتْ بِهِمَا * بَطْحَاءُ مَكَّةَ فِي الأَصْبَاحِ وَالغَسَمِ (١)
وَوَحْشَةٍ لاِبْنِ عَبْدِ اللهِ بَيْنَهُمَا * أَشْهَى مِنَ الأُنْسِ بِالأَحْبَابِ وَالحَشَمِ (٢)

وهذا على ان الاستفهام انكاري بمعنى النفي . ويجوز ان يكون تقريريًّا لتردد جبريل عليه وملازمته صلى الله عليه وسلم فى ذاك الحين لذلك الجبل الذى نزله الشاعر منزلة العالم بهذا السر بحكم هذه الملازمة وطول مقامه عليه السلام فيه . فقوله « منكتم » أي عما عداهما

(١) (البطحاء) المسيل الواسع فيه دقاق الحصى

(الغسم) الامساء وظلمة الليل

وقول الشاعر (في الامساء والغسم) أي من كل مرة كان يطلب فيها النبي صلى الله عليه وسلم حرآء لا كل صباح وكل غسم فأنه صلى الله عليه وسلم كان يتزود فيقيم في (حرآء) الليالى والايام

(٢) (ابن عبد الله) هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقد مر بك ذكر نسبه الشريف

(الحشم) الخدم الخاصون بمولاهم

(الوحشة) الخلوة والهم والمراد بها هنا مجرد الخلوة والانقطاع عن الناس

وكيف يدركه الضجر من الوحدة ويناله السأم من الانفراد وبه من الانس بجوار ربه وتلقى فيضه ما يقصر عنه القول ولا يحيط به الوصف

يُسامِرُ الوَحيَ فيها قبلَ مهبطهِ * ومَن يُبشَّرْ بسيما الخيرِ يتَّسِمِ (١)
لمَّا دعا الصحبُ يستسقونَ من ظمإٍ * فاضتْ يداكَ من التَّسنيمِ بالسَّنَمِ (٢)

---

(١) (مهبطه) هنا بمعني هبوطه — أي بالرسالة فان أول ما نزل به الوحي عليه صلى الله عليه وسلم قول الله تعالى « اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الإنسان من علق إقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم » ثم انقطع الوحي وابطأ عنه صلى الله عليه وسلم ستة وثلاثين شهرا فكان يتشوق اليه فيخرج من متعبده يلتمسه فيتراآى له جبريل عليه السلام ويناديه انك لرسول الله حقا فيسكن به ويتصبر الى أن انقضت فترة الوحي ونزلت « يا أيها المدثر قم فأنذر » فابتدأت بذلك رسالته صلى الله عليه وسلم

(٢) (التسنيم) ماء بالجنة يجري فوق الغرف وسنم الاناء تسنيما ملأه فكأنه اراد بالسنم هنا الاناء المملوء

الأحاديث الواردة في نبع الماء من بين اصابعه الشريفة كثيرة

عن انس بن مالك رضي الله عنه قال « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الاناء يده وأمر الناس ان يتوضؤوا منه قال فرأيت الماء ينبع فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال « بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وَظَلَّلَتْهُ فَصَارَتْ تَسْتَظِلُّ بِهِ * غَمَامَةٌ جَذَبَتْهَا خِيرَةُ الدِّيَمِ (١)

اطلبوا من معه فضل ماء فأُتي بماء فصبَّه في اناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وَرُوي عن جابر رضي الله عنه قال « عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأَمثال العيون

ورُوي الحديث عن غير هؤلاء من جلة الصحابة وأئمة الدين . قال صاحب الشفاء رحمه الله بعد رواية حديث نبع الماء من الطرق المتقدمة :قال الترمذي وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا في هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم كانوا أسرع شيء الى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولانهم ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا وأَشاعوه ونسبوا حضور الجماء الغفير له ولم ينكر أحد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم له

(١) (الديم) جمع ديمة وهي المطر الدائم

قد مر بك خبر تظليل الغمام عليه صلى الله عليه وسلم في حديث بحيرا المتقدم وروى ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنه قال :كانت حليمة لا تدعه يذهب مكانا بعيداً فغفلت عنه فخرج مع اخته الشماء في الظهيرة الى البهم فخرجت حليمة تطلبه حتى تجده مع اخته فقالت

مَحَبَّةٌ لِرَسُولِ اللهِ أُشْرِبهَا * قَعَائِدُ الدَّيْرِ وَالرُّهْبَانُ فِي القِمَمِ (١)

في هذا الحر قالت اخته يا أمّ ما وجد أخي حراً رأيت غمامة تظل عليه اذا وقف وقفتْ واذا سار سارت حتى انتهى الى هذا الموضع

(١) (القعائد) جمع قعيدة و (قعائد الدير) ملازموه من متنسكة النصارى — (القمم) جمع قمة وهى أعلا الرأس وكل شيء والمراد بها هنا أعالى الجبال

المعنى — ان محبته صلى الله عليه وسلم قد شاعت في قلوب أحلاس الديور من متنسكى النصارى ورهبانهم المنقطعين في رؤوس الجبال للتبتل والعبادة

وذلك لانهم قد نبأتهم صحفهم بصفاته واحواله وانه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء المبعوث بالهدى للناس أجمعين . قال تعالى « الذين يَتَّبِعُونَ الرسولَ النبيَّ الاميَّ الذى يجدونَهُ مكتوباً عندهم في التوراة والأنجيل » الآية . وقال تعالى « ثم جاءكم رسولٌ مصدِّقٌ لِمَا معكم لَتؤمِنُنَّ به ولتنصرنّه » الآية . وقال تعالى حكايةً عن عيسى عليه السلام « ومبشراً برسولٍ يأتي من بَعْدِى اسمُهُ أحمَد »

ولا يذهب عنك ما مر من قصة بحيرا فى هذا الباب ومثلها ماجاء عن عمرو بن عنبسة السلَميّ قال لقيت رجلا من أهل الكتاب فقلت له انى أمرؤٌ ممن يعبد الحجارة وانى أري أن عبادتها لا تضر ولا تنفع فدلنى على خير من هذا فقال يخرج من مكة رجل يرغب عن آلهة قومه ويدعو

إِنَّ الشَّمائلَ إنْ رقَّتْ يكادُ بها * يُغْرَى الجمادُ ويُغْرَى كلُّ ذي نَسَمِ (١)
وَنُودِيَ اقرأْ تعالى اللهُ قائلُها * لَمْ تتَّصلْ قبلَ مَنْ قيلتْ له بفمِ (٢)

الى غيرها فإذا رأيته فاتبعه فلم يكن لى همة منذ قال الا التردد الى مكة والسؤال عنه حتى ظهر فآمنت به .

(١) (الشمائل) جمع شمال الخصلة والصفة — (النسم) جمع نسمة وقد مر بك أنها النفس أو الانسان . والأنسب بها هنا هو المعنى الأول

المعنى — ان الشمائل اذا لطفت والخلال اذا كرمت تألفت النفوس وجذبت اليها القلوب حتى أنها ليوشك أن يتأثر بها الجماد الاصم ، والحيوان الاعجم

وقد كان صلى الله عليه وسلم من شرف الخلة ولطف النفس بالموضع الذى لا يُنال فسكنت اليه النفوس الثائرة ، واستأنست به القلوب النافرة ، قال تعالى « ولو كنت فظًّا غليظَ القلبِ لانفضّوا من حولِكَ »

وقد جرى في البيت مجرى المثل

(٢) **المعنى** — ان خطاب الله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام بقوله «إقرأ باسم ربك» لم يتنزّل على بشر قبله ولم يجر به فم انسان قبل أن يوحى اليه صلى الله عليه وسلم وإن خوطب الانبياء قبله بغير هذا الخطاب كخطاب الله تعالى لموسى عليه السلام «خُذْ ما آتيتك وكنْ من الشاكرين» وليحيي عليه السلام « يا يحيى خذ الكتاب بقوّةٍ » وغير ذلك مما وقع به الخطاب

هُنَاكَ أَذَّنَ لِلرَّحْمنِ فامْتَلأَتْ * أَسْمَاعُ مَكَّةَ مِنْ قُدْسِيَّةِ النَّغَمِ (١)
فَلَا تَسَلْ عَنْ قُرَيْشٍ كَيْفَ حَيْرَتُهَا * وَكَيْفَ نَفْرَتُهَا فِي السَّهْلِ وَالعَلَمِ (٢)

للأنبياء صلوات الله وتسليماته عليهم أجمعين

(١) (أذّن للرحمن) أي دعا الى الله — وقوله (من قدسيّة النغم) ترشيحٌ لتشبيه الدعاء الى الله تعالى بالصوت الجميل — و(قدسية النغم) النغم المطهرة المنزهة عن تطريب الغناء بتكسير الالفاظ واعتصار الحناجر وإيقاع الاصوات بل كان أذانه (دعاؤه) صلى اللهِ عليه وسلم نفحة من نفحات القدس تحدث لها في النفوس هزة، وتقع بها في القلوب روعة، وما ظنك بدعوة تأخذ أشد الناس عنادا، وأصعبهم قيادا، وتخرجه في لمحة واحدة من دين الى دين وتسلّ منه في مثل طرفة العين من الخلق والعقيدة والعادة ماختمت على قلبه العصور، ونقشت في صدره الازمان والدهور، ثم كانت عليه برداً وسلاما

قوله (هناك أذّن) يريد به الظرف المتسع المستغرق لمدة الفترة والمنتهي بنزول الوحي بالرسالة فقد علمت انه صلى الله عليه وسلم دعا الى الله بعد نزول «اقرأ باسم ربك» بستة وثلاثين شهراً اي حين نزلت «ياأيّها المدّثِّرُ قُمْ فأَنذِرْ» الآية

(٢) (فلا تسل) يعنى ان الأمر واضح غنيٌّ عن السؤال يقال عند ظهور الأمر ووضوحه «لاتسأل»
— (العلَم) الجبل

تَساءَلُوا عَنْ عَظِيمٍ قَدْ أَلَمَّ بِهِمْ * رَمَى المَشَايِخَ وَالوِلْدَانَ بِاللَّمَمِ (١)
يَاجَاهِلِينَ عَلَى الهَادِي وَدَعْوَتِهِ * هَلْ تَجْهَلُونَ مَكَانَ الصَّادِقِ العَلَمِ (٢)

المعنى — انه حين دعا النبيُّ صلى الله عليه وسلم عشيرته قريشا بلغت منهم الحيرة والاضطراب أن هاموا على وجوههم في بطون الأودية ورؤوس الجبال لايلوون على شيء . وذلك كناية عن شدة الارتباك واستعظام الامر عليهم ونفورهم من تلك الدعاية التي دعاهم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) (أَلَمَّ) نزل — (اللَّمَمَ) محركة الجنون

المعنى — أنه قد أقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن الامر العظيم الذى نزل بهم وهو ان يقوم فيهم رجل ليس له مالهم من البأس والمنعة يزعجهم عما كان يعبد آباؤهم — وهم سادات قريش وجباهها — ويأخذهم عما الفوا من عاداتهم واخلاقهم المغروزة فيهم دهشوا لهذا واستعظموه حتى جن منه شيبهم وشبابهم

(٢) (العَلَمَ) الظاهر المشتهر — (الجاهلون على الهادى) المتكبرون المنكرون المتعنتون . والاستفهام في قوله (هل تجهلون) انكاري

المعنى — التفت اليهم يؤنبهم على إعناتهم للرسول صلى الله عليه وسلم وردهم دعوته وعدم إذعانهم لقوله فقال كيف تنكرون الداعيَ الى الحق وتكذبون مقالته وأنتم أعلم الناس بموضعه من الصدق وتنزهه عن قول الزور !

لَقَّبْتُمُوهُ أَمِينَ القَوْمِ فِي صِغَرٍ * وَمَا الأَمِينُ عَلَى قَوْلٍ بِمُتَّهَمِ (١)
فَاقَ البُدُورَ وَفَاقَ الأَنْبِيَاءَ فَكَمْ * بِالخَلْقِ وَالخُلْقِ مِنْ حُسْنٍ وَمِنْ عِظَمِ (٢)

---

(١) **المعنى** — كنتم وهو صلى الله عليه وسلم في شباب سنه تلقبونه بالأمين فتقولون « محمد الأمين » وذلك لما رأيتم من شدة وفائه وعصمته عن الباطل ونزاهته عن الكذب ماعلمتم في طبعه الكريم انحرافا ولا وجدتم في خلقه الشريف عهدة فكيف يكون الذي تشهدون بأمانته وصدقه طول حياته متهما بالكذب فيما دعاكم اليه وأرادكم اليوم عليه

وقد ذهب في الشطر الثاني من البيت مذهب المثل. وفي البيت الطباق

(٢) (الخَلْق) بفتح الخاء وسكون اللام الخِلقة — و (الخُلْق) بضم الخاء السجِيَّة

والبيت موصول معناه بما قبله

يقول: لاموضع لإنكاركم عليه أن يكون نبياً مرسلا وقد قال لكم هذا وهو الصادق فيكم المصدوق من قديم الزمان عندكم. واذا رجعتم الى مزاياه في نفسه لاتجدون كذلك محلاً لإنكاركم عليه دعوته فإذا كان أمر الرسالة لايتسق للناس الا بحسن الصورة وكمال الخلق فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوضح من البدور وأجمل — وهي أبهى الاشياء وأجملها — واذا كان ذلك يرجع الى كرم الخُلُق وعلو السجايا فقد فاق صلى الله عليه وسلم الانبياء وهم أكرم الناس خلقا وأشرفهم شيمة

أما خَلْقُه وحسن صورته فكان صلى الله عليه وسلم أزهر اللون أدعج

أَنجل أشكل أهدب الاشفار أبلج أزجّ أقنى أفلج مُدوَّر الوجه واسع الجبين كثّ اللحية واسع الصّدر عظيم المَنْكِبين ضخم العظام عَبْل العَضُدين والذراعين رَحب الكفَّين والقدمين سائل الاطراف أنور المتجرَّد ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا القصير المتردّد إذا افترَّ ضاحكا افترّ عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل البائن ولا بالقصير ولا بالأبيض الأمهق ولا بالآدم وليس بالجعد القَطَط ولا بالسَّبِط . الحديث

وقال البراء رضي الله عنه : مارأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله علية وسلم

وقال أبوهريرة رضي الله عنه : مارأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه

وأما خُلُقه صلى الله عليه وسلم فقد حباه الله تعالى من كمال الغريزة وسلامة الطبع ووفور العقل ووثاقة الحلم وعلو النفس ولطف الحِسّ بما لم يحبُ به مخلوقاً قبله ولا بعده . وتولاه من تأديبه وطبعه على كرائم الخلال ومحامد الخصال بما لم يوفَّق اليه مخلوق غيره ، وناهيك بمن يكون ربه مؤدبه ومهذبه قال صلى الله عليه وسلم « أدَّبني ربي فأَحسَنَ تأْدِيبي »

وسيرد لك ان شاء الله تعالى تفصيل بعض شمائله صلى الله عليه وسلم بحسب ما يشير الشاعر الى شيء منها . وما عسى ان يقول فيه المخلوق بعد ما قال له الخالق « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيم »

جاءَ النّبيُّونَ بالآياتِ فانصرَمتْ * وَجئتَنا بحكيمٍ غيرِ مُنصرِمِ (١)
آياتُه كلّما طالَ المدى جُدُدٌ * يَزينهُنَّ جلالُ العتقِ والقِدمِ (٢)

يامصطفى من قبل نشأة آدم * والكون لم تُفتح له أغلاقُ
أيَرُوم مَخلوق ثناءك بعد ما * أثنَى علىٰ أخلاقك الخلّاقُ

وفي البيت اللفّ والنشر المرتب

وقال صاحب البردة في هذا المعنى

فاق النبيين في خَلْقٍ وفي خُلُقٍ * ولم يُدانُوه في حلمٍ وفي كرم

(١) (انصرمت) انقطعت — و (منصرم) منقطع — (الحكيم) القرآن وقد وصفه الله تعالى بالحكيم في مواضع منه

المعنى — من الدلائل على انه صلى الله عليه وسلم فاق الأنبياء وفضلهم — كما ذكر في البيت السابق — ان ما جاؤوا به من المعجزات والآيات قد مضى على أثرهم وانقطع بانقطاع مُدّتهم وأن ما جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم من القرآن الكريم والذكر الحكيم باق على طول الازمان والأدهار تجري عليه العصور وتتغير عليه الامم وهو قائم الحجة واضح المحجة يُكلَّفُ الناسُ بالجري على مقتضى حكمه ويُطالَبُون بالتعبد بتلاوته في كل زمان وفي كل مكان

(٢) (جُدُد) جمع جديد كسرر وسرير

آياب الكتاب الحكيم قديمة لأنها كلام الله القديم ولكن قدمها وسبقها على الحوادث لا يجمد بها عن الاتساع لأحكام الوقائع والنزول على

INSTITUT DOMINICAIN D'ETUDES ORIENTALES

جزئيات المسائل فمهما طال الزمان وتجددت الحوادث ظهر لها من كتاب الله تعالى حكم يناسبها ويتفق مع مصالح العباد فيها فهى جديدة باعتبار تنزيلها على أحكام الوقائع الجديدة أو جديدة باعتبار ظهور حكم لنا فيها جديدة بعد ان كانت خافيةً عن انظار العباد

وكيف لا تكون كذلك وقد أنزلها الله حُكماً وهُدًى للناس عامة حتى آخر الزمان قدر لهم فيها المصالح وجعل لهم في اتباعها العز والمنعة مهما تغيرت الحوادث وتقلبت الامور « تَنْزِيلٌ من حَكِيمٍ حَمِيدٍ »

ومما يتّصل بهذا المعنى قول القاضي عياض رحمه الله : وقد عد جماعة من الأئمة ومقلدى الأمة في أعجازه « القرآن » وجوها كثيرة . منها ان قارئه لا يمله ، وسامعه لا يمجّه ، بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة ، وترديده يوجب له محبة ، لا يزال غضاً طرياً وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ، ويعادى إذا أعيد ، وكتابنا يُستلذّ في الخلوات ، ويُؤنس بتلاوته في الأزمات ، وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى أحدث اصحابها لحوناً وطروقاً يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها . ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عبره ولا تفنى عجائبه

وفي البيت الطباق

وقال صاحب البردة في هذا المعنى

آيات حق من الرحمن محدثة ✻ قديمة صفة الموصوف بالقدم

قال القسطلاني شارحه (محدثة) باعتبار الحروف والاصوات

يكادُ في لفظَةٍ منه مُشرِّفةٍ * يُوصيكَ بالحقِّ والتَّقوى وبالرَّحِمِ (١)
يا أفصحَ النّاطقينَ الضّادَ قاطبةً * حديثُكَ الشَّهْدُ عندَ الذّائقِ الفَهِمِ (٢)

---

(١) التاء في قوله (لفظة) تاء الوحدة

اذا أراد (باللفظة) حقيقتها فالقولُ فى بلاغة الكتاب و براعة اسلوبه ودقة نظمه وانسجام لفظه وكمال إيجازه حتى انه ليتَّسِق اللَّفْظَة فيه من المعانى ما يتفرق في الجمل الكثيرة من كلام غيره . وذلك لكمال الارتباط بين كلماته وأخذ كل لفظة من ألفاظه الشريفة بحجزة التى تليها حتى اذا وقعت لها طائفة من المعانى كانت كأنها واقعة فى اللفظة الواحدة لحسن التآم ألفاظه ولطف اتصال بعضها ببعض . وإذا أراد (باللفظة) الجملة كان القول في احتشاد آي الكتاب الحكيم بالحكمة والموعظة الحسنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاكثار من توصية الناس بما فيه صلاح دينهم ودنياهم

والمعنى على هذا أنه يكاد في كل جملة من جمله الشريفة يوصيك بالحق وتقوى الله والبر بذوي الأرحام

رُويَ أن الوليد بن المغيرة لما سمع من النبيّ صلى الله عليه وسلم « إنَّ اللهَ يأمرُ بالعَدْلِ والأحسانِ وإيتاءِ ذى القُرْبَى ويَنْهى عَنِ الفحشاءِ والمُنْكَرِ والبَغيِ يعظُكُمْ لعلَّكُمْ تذكَّرُونَ » قال : والله إن له لحلاوة ، وأن عليه لطلاوة ، وإن أسفله لمغدق ، وإن أعلاه لمثمر ، ما يقول هذا بشر

(٢) (الناطقون الضاد) العرب لأن « الضاد » لاتقع إلا فى لغتهم

— (الشُّهْد) العسل في شمعه — (والذائق) صاحب الذوق في فهم الكلام والخبرة بمواضعه — (الفهم) صيغة مبالغة من الفهْم

شبه حديثه صلى الله عليه وسلم بالشهد في حلاوته وعذوبته وانبساط النفس له. أو لفائدته وشفائه لأدواء النفوس كما يشفي العسل من أدواء الجسوم. قال تعالى (فيه شفاء للنّاس» وقال الشاعر

وان لسانى شُهدة يُشتفى بها . وهوّ على من صبّه الله علقمُ

وانا ناقلون اليك بعض ما قال الشفاء في فصاحة لسانه وبراعة منطقه قال : كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل الأفضل ، والموضع الذى لا يُجهَل ، سلاسة طبع ، وبراعة منزع ، وإيجاز مَقطع ، ونَصاعة لفظ ، وجزالة قول ، وصحة معَان ، وقلة تكلُّف ، أوتي جوامع الكلِم ، وخُصّ ببدائِع الحِكَم ، وعلم السنة العرب ، يخاطب كل أمة منها بلسانها ، ويحاورها بلغتها ، ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه يسئلونه في غير مَوطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه

وقال بعد كلام طويل : وأما كلامه المعتادوفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمِه المأثورة فقد ألّف الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يُوازَى فصاحة ولا يُبارَى بلاغة كقوله:

المسلمون تتكافؤ دماؤهم ويسعي بذمتّهم أدناهم وهم يدٌ على من سواهم. وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من أحب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن

حلّيتَ مِن عطَلٍ جيدَ البيَانِ بهِ * في كلّ مُنْتَثرٍ في حُسْنِ مُنْتَظِمِ (١)

وقال بعد ذلك: وقد قال له أصحابه ما رأينا الذى هو أفصح منك فقال وما يمنعنى وإنما أنزل القرآن بلسانى لسانٍ عربي مبين. وقال مرة أخرى بَيْدَ أنّي من قريش ونشأت في بنى سَعْد. فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة وورونق كلامها الى التأييد الالهيّ الذي مدده الوحي الذى لايحيط بعلمه بشري. وقالت أم معْبَد في وصفها له: حُلو المنطق فصلٌ لا نَزْرٌ ولا هذْر كأن منقطه خرَزاتٌ نُظمن

(١) (عطل) يقال عطلت المرأة عطلا إذا لم يكن عليها حلي

المعنى — ان البيان قد ازدان بحديثه صلى الله عليه وسلم كما تزدان الحسناء بعد العطل بحليها وزخرفها وتزداد بزينتها ملاحتها وحسنها. وقد تنزه صلى الله عليه وسلم عن قول الشعر وباطل وساوسه وخيالاته وما يجرى في أكثر فنونه مما لاينبغى للنبي الكريم «وَمَا عَلّمْنَاهُ الشّعْرَ وَمَا يَنْبَغِى لَه» بل كان قوله منثورا — الا ماجرى على لسانه الشريف رواية من شعر شاعر — جاريا بحكمة، أو آخذا بموعظة، أو مقرراً لحكم من أحكام الدين ومع هذا فقد كان لحديثه المنثور ماللشعر المنظوم من روعته وخفته على السمع ولطف موضعه من النفس وهشاشة القلب له وانجذاب الطبع اليه

وفى البيت تشبيه البيان بالمرأة الحسناء تشبيها مُضمرا فى النفس وأثبت لها «الجيد» على سبيل الاستعارة المكنية و «التحلية» ترشيح

بكلِّ قولٍ كريمٍ أنتَ قائلهُ * تُحيي القلوبَ وتُحيي ميّتَ الهممِ (١)
سرتْ بشائرُ بالهادي ومولدِهِ * في الشّرقِ والغربِ مسرى النّورِ في الظّلمِ (٢)

وفي كل من شطري البيت الطباق

(١) معنى احياء قوله القلوبَ تأثرها بمواعظه صلى الله عليه وسلم وتنبهها من غفلتها وتدبرها ماينفعها وما يضرها . واحياؤه الهمم إيجادها وابتعاثها لعظائم الأمور . وقد وصل قوله صلى الله عليه وسلم همم اصحابه وتابعيهم بالجوزاء فدانت لهم الممالك وذللت لهم الصعاب ويُسّر لهم في اليسير من الزمان ماتعذّر على الازمان والاحقاب — و (كريم) بمعنى الثمين النافع وهو صفة أولى لازمة (لقول) وجملة (انت قائله) صفة ثانية من الوصف بالجملة بعد الوصف بالمفرد وهو جائز كعكسه نحو قوله تعالى « وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ »

واحياء القلوب مجاز عن تأثرها وموت الهمم مجاز عن فقدانها . واقواله المأثورة في هذا الباب لا يكاد يأخذها العدّ ويبلغها الاحصاء .

وفي الشطر الثاني من البيت الطباق

(٢) نسبة السريان للبشائر مجاز عقلي أو في الكلام استعارة مكنيّة بتشبيه البشائر بالسارى وإثبات السرى لها تخييل . وقد رُوي في غير موطن أن البشرى بمولده صلى الله عليه شاعت في الارض والسماء واتصلت بجميع الكائنات وسيرد عليك شيء من أثرها في البيتين الآتيين

وفي الشطر الثاني الطباق بين قوله في « الشرق » و « الغرب » وقوله

تخطَّفتْ مُهجَ الطَّاغين من عربٍ * وطيّرتْ أنفُسَ الباغين من عَجَمِ (١)
رِيعتْ لها شُرُفُ الإيوانِ فانصدعتْ * من صدْمةِ الحقّ لا من صدْمةِ القُدُمِ (٢)

« النور » و « الظلم »

(١) (مُهَج) جمع مُهْجة وهي دم القلب

المعنى — أن العلامات التى دلت على مولده صلى الله عليه وسلم قد روَّعت اهل السطوة والظلم من عرب وعجم واعتصرت قلوبهم وأطارت نفوسهم فَرَقا . وذلك لما علموا من اقتراب الساعة التي يُمْسكُون فيها عن الناس وتُغَلّ فيها أيديهم عن ظلم العباد ويحاسبون على ما أسرفوا ، ويؤخذون بما اقترفوا ، وان على الباغى تدور الدوائر

وفى البيت الطباق

(٢) (ريعت) ذعرت وخافت — (شُرُف) جمع شرفه وهي ما يوضع علي أعالى القصور ونحوها — (القُدم) جمع قدوم

المعنى — أن شرف الأيوان وهو مثوى سلطان الأكاسرة ومظهر سطوتهم وبأسهم قد ارتجت وهوت ليلة مولده صلى الله عليه وسلم لم تعمل فيها المعاول ولم تهدمها القدم بل تداعت وخرت من صدمة الحق المبعوث به صلى الله عليه سلم للباطل الذى فيه أهلها « بل نقذفُ بالحقّ على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق »

روى البيهقي وابو نُعيم والخرائطي وابن عساكر خبر ارتجاج الأيوان وسقوط اربع عشرة شرافة منه . وقال ابن حجر في شرح

أَتَيْتَ وَالنَّاسُ فَوْضَى لا تَمُرُّ بِهِمْ * إِلَّا عَلَى صَنَمٍ قَدْ هَامَ فِي صَنَمِ (١)
وَالأَرْضُ مَمْلُوءَةٌ جَوْراً مُسَخَّرَةٌ * لِكُلِّ طَاغِيَةٍ فِي الخَلْقِ مُحْتَكِمِ (٢)

الهمزية . ومن عجائب ولادته صلى الله عليه وسلم انهدام إيوان كسرى أي انشقاقه انشقاقاً بيناً آل به إلى خرابه « ولولاه ماتداعي البناء » مع ماهو عليه من العظم والاحكام الذى يظن به أن لاتهدمه إلانفخة الصور فإذا هو قد تحرك وسقط منه أربع عشرة شرافة للدلالة على نبوته وأنه لا عز يبقى لأحد مع عزه . وسر كونها أربع عشرة أنه لم يبق من ملوكهم إلا أربعة عشر فملك عشرة في أربع سنين وأربعة إلى زمن عثمان وبذلك انتهي ملكهم

(١) (هام) يهيم هياما والهيام شدة الوجد

المعنى — أنه بعث عليه الصلاة والسلام والناس في جاهليتهم الجهلاء لا يؤخذون بنظام ولا يجرون في أمورهم علي حكم معقول بل قد فسدت فطرهم وافتتنت عقولهم الى حد العكوف على الأصنام واتخاذها للعبادة واستكفائها الضر والأذى . ومن كان هذا شأنه فى ضعف العقل وجمود الفكر وعدم التمييز بين النافع والضارّ كان هو والحجر الذي يعبد بمنزلة سواء . فذلك قوله « إلا على صنم قد هام في صنم »

(٢) التاء في قوله (طاغية) للمبالغة أي شديد الطغيان

كان الناس في كل أرض كأنهم في دار حرب يستعر لهيبها من القتل والفتك والسلب والنهب . دع وأد البنات وهتك الحرُمات . وكان كل ملكٍ

مُسيطرُ الفرْسِ يَبغي في رعيّته * وقيصرُ الرُّومِ من كِبرٍ أصمُّ عمي (١)
يُعذّبان عبادَ اللهِ في شُبَهٍ * ويَذبحان كما ضَحّيتَ بالغَنمِ (٢)

طاغية في قومه ، ظلاماً في حكمه ، يأمر ولا رادّ لأمره ، ويقضي بالجور ولا دافع لقضائه، اللهم إلا أفراداً قلائل يسنحون في عرض التاريخ سنوحاً فيخطر عدلهم في خلال الظلمات المتكاثفة « خَطرَةَ البرق بدا ثم اضمحلّ »

(١) (بَغي) يَبغِي بَغْياً والبغي التعدى

كذلك كانت الحال في دولة الفُرْس عند مبعثه عليه الصلاة والسلام حيث كانت الفوضى في بيت الملك والظلم فى الرعيه بيد القائم المتسلط عليه. وكانت الحال في دولة الروم أدهى وأمرّ فقد كانت قياصرتهم أهل غطرسة وجبروت قد أبطرتهم النعمة وأعماهم الاختيال وأصمتهم الكبرياء فلا يرون لمخلوق حقاً عليهم بل يعتقدون ان الخلق مسخر لأمرهم وأن الناس ما كانوا إلا ليجري عليهم عسفهم وظلمهم

وإنما اختص بالذكر دولتي فارس والروم لانهما كانتا أعرف دول الارض وأقواها في ذلك الحين ولأنهما كانتا أشد من غيرهما علاقة وأقرب جواراً لجزيرة العرب التى بعث فيها الرسول الاكرم صلى الله عليه وسلم

(٢) فصل فى هذا البيت وجوه الظلم الذي كان منتشراً في ذلك الزمان وأن تعذيب الناس كان يجرى على الشُّبه والأوهام وأن أرواح العباد كانت تزهق بالوشايات والسعايات وينطلق سيف الظالم بالقتل في الناس لأوهن الاسباب كما تنطلق سكين القصاب بالذبح في الغنم يوم التضحية

وَالْخلقُ يفتكُ أقواهم بأضعفِهم * كالليثِ بالبُهمِ أوكالحوتِ بالبلمِ (١)

أسرى بك الله ليلاً إذ ملائكُه * والرسلُ فى المسجدِ الأقصى على قدمِ (٢)

والجار والمجرور فى قوله « كما ضحيت » صفة لمفعول مطلق محذوف أي ذبحا كتضحيتك الغنم و « ما » مصدرية

(١) (البهم) جمع بهمة وهي ولد الضأن والمعز – (البلَم) صغار السمك

متى اطلق الناس ولم يكُفهم وازع من دين أو سلطان غلبت عليهم فطرتهم الحيوانية فسطا كبيرهم بصغيرهم وفتك قويهم بضعيفهم كما يفرسُ الليث ضعاف الحيوان وكما تأكل كبار السمك صغارها

والظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفة فلعلة لا يظلم

(٢) (المسجد الأَقصى) بيت المقدس – (على قدم) قائمون محتشدون

حكاية الإسراء جاء بها الكتاب العزيز قال تعالى (سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ).

قال العلماء : يتعين أن يكون الإسراء الى المسجد الأَقصى يقظة إذ لو كان رؤيا منامية لما امتنّ الله على نبيه بتخصيصه بذلك ولما كذبته قريش وسألته عن صفات بيت المقدس ولما أجابهم بعدُ الى ماسألوا

روى البخارى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لما كذبتني قريش

لمَّا خطرتَ به التفُّوا بسيِّدِهِم * كالشُّهْبِ بالبَدْرِ أو كالجُنْدِ بالعلَمِ (١)

صلّى وراءكَ منهم كلُّ ذي خطرٍ * ومَنْ يفزْ بحبيبِ اللهِ يأتَمِمِ (٢)

قمت في الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه » والرأي في المنام لا يُعاجزُ بمثل ذلك ولا يتكلّف هو مثل هذا القدر في إثبات رؤياه

أما الأحاديث الصحيحة الواردة في تفصيل قصة الاسراء فكثيرة لا يجاورها الشك ولا يطوف بها في جملتها الريب

قال القاضي عياض رحمه الله : الحق الذى عليه السلف وعامة المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين أنه أُسري بجسده والآثار تدل عليه لمن طالعها وبحث عنها. ولا يعدل عن ظاهرها إلا بدليل

(١) (خطر) مشى — وقد التفت من الخطاب الى الغيبة في قوله (بسيدهم) تعظيما لشأنه وإظهار سيادته عليهم صلوات الله وتسليماته عليهم أجمعين — الجار والمجرور في قوله (كالشهب) و(كالجند) صفة لمفعول مطلق محذوف — (الشهب) جمع شهاب وهو في الأصل شعلة النار الساطعة والمراد بها النجوم — (العلم) راية الحرب

(٢) (ذى خطر) ذى قدر ومنزلة — وكلهم كذلك صلوات الله وتسليماته عليهم — والجار والمجرور في قوله (بحبيب الله) متعلق بقوله (يأتمم) أي يأتم — والأصل ومن يأتم بحبيب الله يفز ولكنه قلب للمبالغة والمبادرة بذكر الفوز

جُبْتَ السَّمواتِ أوْ ما فوقَهنَّ بِهِمْ * على مُنَوَّرَةٍ دُرِّيَّةِ اللُّجُمِ (١)
رَكُوبَةً لكَ مِنْ عِزٍّ ومِنْ شرَفٍ * لا في الجيادِ ولا في الأَيْنُقِ الرُّسُمِ (٢)

وقد وردت الأحاديث بخبر هذه الصلاة . منها ما رواه مسلم عن أم هانئ عنه صلى الله عليه وسلم قال « نُشر لي رهط من الأنبياء منهم ابراهيم وموسى وعيسى ثم حانت الصلاة فأممتهم » ومنها ما رواه الحاكم والبزار أنه صلى ببيت المقدس مع الملائكة وأنه عليه السلام أُتِيَ بأرواح الأنبياء فأثنوا على الله

(١) (بهم) أي بملابسة بعضهم فيها فانه ورد أنه مر ببعضهم في السموات لا كما هو المتبادر من قوله انهم صاحبوه حين جاب السموات — ويريد بقوله (منوّرة درّية اللجم) البراق والوارد أنه صلى الله عليه وسلم ركب البراق الى بيت المقدس أما عروجه الى السماء فلم يكن على البراق على الصحيح

(٢) (منْ) في قوله (من عز ومن شرف) للتعليل أي لأجل عزك وشرفك — (الأَينق الرُّسُم) النوق الشديدة الوطئ لقوتها حتى كأنها ترسم في الأرض بمشيها آثاراً ظاهرة — و (الرُّسُم) واحدها رَسُوم — (الجياد) جمع جواد وهو الفرس الرائع البين الجودة

المعنى — أن هذه المطية التى أقلتك يومئذ لا نظير لها في الجياد ولا مثيل لها بين النوق وليست من تلك المطايا التى يعهدها الناس بل هي شيء اختصك الله به إعزازاً لامرك ، وتشريفاً لقدرك ، وهو البراق

والأحاديث الواردة في صفته كثيرة . منها ما رواه مسلم عن أنس ابن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أُتيتُ بالبراق وهو دابة

مَشيئَةُ الْخالِقِ الْبارِى وَصَنْعَتُهُ * وَقُدْرَةُ اللهِ فَوقَ الشَّكِّ وَالتُّهَمِ (١)
حَتَّى بَلَغْتَ سَماءً لاَ يُطارُ لَها * على جَناحٍ ولا يُسْعَى على قَدَمِ (٢)
وَقِيلَ كُلُّ نَبيٍّ عِنْدَ رُتْبَتِهِ * ويامُحَمَّدُ هَـذا العَرْشُ فاسْتَلِمِ (٣)

أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيتُ بيت المقدس » الحديث

(١) لما ذكر البراق وأنه ليس من جنس هذه الدوابّ التى يمتطيها الناس ويعتملون عليها وأن له من السرعة مالا يجري الخاطر بمثله خاف أن يسرع فى ذلك الشك الى مراض القلوب رقاق العقائد الذين يحسبون أن إرادة الله لاتنزل إلا على حكم أوهامهم وتصوراتهم وأن قدرته تعالى لاتجوز مايجرى كل يوم بين أيديهم وما يتردد على أنظارهم فاستدرك فى البيت بأن ذلك كان بإرادة الله تعالى وقدرته ولا يخرج عنهما شيء من الممكنات لايصيب ذلك شك ولا تناله تهمة

(٢) قد علمت أن عروجه صلى الله عليه وسلم الى السماء لم يكن على البراق كما هو ظاهر البيت والوارد في الصحيح أن صعوده كان على المعراج

(٣) (وقيل) أي بلسان الحال (كل نبي) من الذين فى السموات — (عند رتبته) أي منزله في السماء التى هو فيها — (ويامحمد) بلسان الحال أيضاً — (هذا العرش فاستلم) لم يرد فى الصحيح بلوغه صلى الله عليه وسلم العرش ولعل استلامه هنا كناية عن مزيد القرب من رب العزة لأن من بلغ عرش الملك فقد دنا منه دنوا عظيما

خَطَطْتَ للدِّينِ وَالدُّنيا علومَهمَا * ياقارِئَ اللوحِ بَلْ يالامسَ القلَمِ (١)
أَحطْتَ بينَهُمَا بالسِّرِّ وَانكشفتْ * لكَ الخزائنُ من علمٍ ومن حكَمِ (٢)
وَضاعفَ القُرْبُ ماقُلِّدْتَ من مِنَنٍ * بلاَ عدادٍ وما طوِّقتَ من نِعَمِ (٣)
سَلْ عُصْبَةَ الشِّرْكِ حولَ الغارِ سائمةً * لولاَ مُطَارَدَةُ المختارِ لَمْ تَسِمِ (٤)

---

(١) (خطه علوم الدين والدنيا) كناية عن تعليمها الناس وبثها فيهم — و (قراءة اللوح ولمس القلم) كناية عن إطلاع الله له على ما أطلعه عليه من الغيوب. وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم في تلك الليلة ظهر لمستوى سمع فيه صريف الأقلام

(٢) عن ابن عباس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علمني ربي ليلة الاسراء علوما شتى فعلم أخذ عليَّ كتمانه وعلم خيرني فيه وعلم امرني بتبليغه

(٣) يجوز ان يكون (القربُ) فاعلا لضاعف و (ما) وما بعدها مفعولا به والمعنى أن قربه من الله تعالى قد أربى على جميع ماوليه صلى الله عليه وسلم من النعم التي لايدركها العَدّ فكانت باضافة القرب اليها أضعاف ما كانت قبله. ويجوز أن يكون مفعولا والفاعل (ما) وما بعدها والمعنى أن ماتجلى الله تعالى عليه من النعم التي لاتعد وأولاه من الفضائل التي لاتحصي قد زاد قربه لأنه كقرب على قرب والأول أولى

(٤) (عصبة الشرك) أي عصبة أهل الشرك الذين ذهبوا يطلبونه صلى الله عليه وسلم يوم مهاجره

هلْ أَبْصَرُوا الأَثَرَ الوَضَّاءَ أَمْ سَمِعُوا * هَمْسَ التَّسَابِيحِ والقرآنَ مِنْ أَمَمِ (١)
وَهَلْ تَمَثَّلَ نَسْجُ العَنْكَبُوتِ لَهُمْ * كَالْغَابِ وَالحَائِمَاتُ الزُّغْبُ كَالرَّخَمِ (٢)

(الغار) كالثقب بجبل ثور أسفل مكة — (سائمة) راعية ومنه قوله صلى الله عليه وسلم « في سائمة الغنم الزكاة » وسائمة هنا بمعنى الباحثة المنقبة عنه عليه الصلاة والسلام. وذلك أنه لما خرج من مكة يريد الهجرة الى المدينة واشتد القوم فى طلبه وكانوا قد بيتوا نيتهم على قتله توارى هو والصديق رضوان الله عليه في هذا الغار وأقبل القوم يلتمسونهما فيه فصرفهم الله بما سيرد عليك ذكره من الآيات البينات وعصم الله رسوله من الناس

(١) (من أمم) من قرب

المعنى — ما الذى أمسكهم عن الدخول اليهما في الغار هل أبصروا أثر النبوة الوضاء فدخلتهم من ذلك الهيبة أم سمعوا تسبيحه صلى الله وسلم في جوف الغار وقراءته القرآن فوقعت لهم منه روعة، وأدركتهم له رقة؟

(٢) (الغاب) مضى أنه الشجر الكثير المتكاثف — (الحائمات الزغب) الحمام — (الرخم) جمع رخمة وهي طائر على شكل النسر إلا أنه منقط بالسواد والبياض

المعنى — ما الذى منعهم من النفوذ إلى الغار هل خيل اليهم أن ما تهدل على فمه من العنكبوت — ذلك النسج الرقيق الواهن — غابا

فأدبروا ووجوهُ الأرضِ تلعنهم * كباطلٍ من جلالِ الحقِّ منهزمِ (١)

كثيفا منيعا لا يُنال ماوراءه فخافوا المضيَّ فيه وأن ذلك الحمام الوادع على مجازه رغما يتخطفهم وينفذ بهم في جو السماء أو يهوى بهم في مكان سحيق؟

في مسند البزار أن الله عز وجل أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار وأن ذلك مما صد المشركين

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ولما كان ليلة بات النبي صلى الله عليه وسلم فى الغار أمر الله تعالى شجرة فنبتت في وجه الغار وأمر حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار وأتى المشركون من كل بطن حتي إذا كانوا من النبي صلى الله عليه وسلم على قدر أربعين ذراعا معهم قسيّهم وعصيهم تقدم رجل منهم فرآى حمامتين على فم الغار فقال لأصحابه ليس في الغار شئ رأيت حمامتين على فم الغار فعرفت أن ليس فيه أحد وقال رجل آخر الغارَ فقال أمية بن خلف ماأربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت ماأرى أنه قبل أن يولد محمد

(١) شبه إدبارهم ونكوصهم على أعقابهم خائبين بدمغ الباطل وإدحاضه قال تعالى «بَلْ نَقذِفُ بِالْحَقِّ على الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فإذا هُوَ زَاهِقٌ»

ونسبة اللعن لوجوه الأرض مجاز عقلي واللاعن من فيها من المسلمين والملائكة أو المراد وجوه أهلها أي اعيانهم وأفاضلهم

لَوْلَا يَدُ اللهِ بِالْجَارَيْنِ مَا سَلِمَا * وَعَيْنُهُ حَوْلَ رُكْنِ الدِّينِ لَمْ يَقُمِ (١)

تَوَارَيَا بِجَنَاحِ اللهِ وَاسْتَتَرَا * وَمَنْ يَضُمَّ جَنَاحُ اللهِ لَا يُضَمِ (٢)

---

(١) (الجاران) الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضي الله عنه — والمراد (باليد) النعمة — و (عينه) عنايته وحرف الشرط مقدر في الجملة الثانية

المعنى — لم يكن ما نعهما العنكبوتُ ولا صادّاً عنهما الحمام بل هي عصمة الله تعالى لنبيه « وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ » وحفظه إياه وماجرى في سابق علمه من سلامة الرسول صلى الله عليه وسلم وبقائه حتي يقيم به عمود الدين وينشر رسالته في العالمين

قال تعالى « إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا » الآية

روى البخارى عن أبى بكر الصديق رضي الله عنه قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغار فرأيت آثار المشركين قلت يا رسول الله لو أن أحدهم دفع قدمه رآنا قال ما ظنك باثنين الله ثالثهما

وقال صاحب البردة

وقاية الله أغنت عن مضاعفة * من الدروع وعن عال من الأُطُمِ

(٢) (جناح الله) لطفه وستره — (يُضَمّ) يضمه

تجوّز بالجناح عن اللطف والستر لأنهما لازمان له كما يضم الطائر جناحه

يا أَحْمَدَ الْخَيْرِ لِي جاهٌ بِتَسْمِيَتِي * وَكَيْفَ لا يَتَسامَى بِالرَّسُولِ سَمِي (١)

الْمادِحُونَ وَأَرْبابُ الْهَوَى تَبَعٌ * لِصاحِبِ الْبُرْدَةِ الْفَيْحاءِ ذِي الْقَدَمِ (٢)

على فرخه

وفي البيت الجناس

(١) من أسمائه صلى الله عليه وسلم (أحمد) وقد سُمِّيَ الشاعر به تيمنا باسم الرسول الأكرم — (يتسامى) يتعالى

والاستفهام في البيت إنكاري

المعنى — انه من حقى أن أفخر وأتعالى بالانتساب الى اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد وجبت لي بذلك الحرمة ، وثبتت لى منه الذمة

وقد وردت الأخبار فى فضل التسمى باسمه صلى الله عليه وسلم

وقال صاحب البردة في هذا المعنى

فإن لى ذمة منه بتسميتى * محمداً وهو أوفى الخلق بالذمم

(٢) (تبع) أخبر بالمصدر مبالغة وأفرده لأنه يستوى فيه الواحد والجمع أو على تقدير مضاف أى ذووا تبع أي مقتدون به مُقْتَفُون على أثره — (ذو القدَم) التقدم والمنزلة

(صاحب البردة) — على ما في فوات الوفيات — هو الامام محمد ابن سعيد بن حماد بن عبد الله بن صنهاج بن هلال الصنهاجي البوصيرى . كان أحد أبويه من « أبو صير » والآخر من « دلاص » فرُكّبت له نسبة منهما وقيل « الدلاصيرى » لكنه أشتهر « بالبوصيرى »

كان يعانى صناعة الكتابة والتصرف وباشر الشرقية « ببلبيس » وله تلك القصيدة المشهورة التى نظمها في مباشرى الشرقية . وأولها

نقدت طوائف المستخدَمينا * فلم أر فيهم رجلاً أمينا

فقد عاشرتهم ولبثت فيهم * مع التجريب من عمري سنينا

فكتّاب الشمال هم جميعاً * فلا صحبت شمالهم اليمينا

وهى طويلة . وشعره في غاية الحسن واللطافه عذب الألفاظ منسجم التركيب وله في مدائح النبي صلى الله عليه وسلم قصائد طنانة وقصيدته المشهورة بالبردة

قال البوصيرى : كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ما كان اقترحه عليَّ الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير ثم اتفق بعد ذلك أن أصابني فالج أبطل نصفي ففكرت في عمل قصيدتي هذه «البردة» فعملتها واستشفعت به إلى الله تعالى فى أن يعافيني وكررت إنشادها وبكيت ودعوت وتوسلت ونمت فرأيت النبيَّ صلى الله عليه وسلم فمسح على وجعي بيده المباركة وألقى عليَّ بردة فانتبهت ووجدت فيَّ نهضة فقمت وخرجت من بيتي ولم اكن أعلمت بذلك أحدا فلقيني بعض الفقراء فقال لي أريد ان تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أيَّهَا فقال التي أنشأتها فى مرضك وذكر أولها وقال والله لقد سمعتها البارحة وهي تنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمايل وأعجبته وألقى على من أنشدها بُرْدة فاعطيته إياها وذكر الفقير ذلك وشاع المنام اه

وتوفي عام ٦٩٥ على ماذكره السيد مرتضى الزبيدي

مَديحُهُ فيكَ حُبٌّ خالصٌ وَهوىً * وَصادقُ الحُبِّ يُملي صادقَ الكَلِمِ (١)
اللهُ يَشهَدُ أنّي لا أُعارِضُهُ * مَن ذا يُعارِضُ صوبَ العارِضِ العَرِمِ (٢)

هذا وقبره شهير بمدينة الاسكندرية يتصل به مسجد كبير يسمي باسمه أضحى اليوم محتشدا بدروس العلم والدين بتوفيق الله تعالى وحسن عناية سمو العباس حيث قد دخل هذا المسجد في جملة المساجد التى اتخذت معاهد للعلم في مدينة الاسكندرية . تلك المعاهد التى أنشأها الجناب العالى الخديوى عباس حلمي الثانى إشاعة للعلم وإحياء للدين الكريم

(١) (مديحه حب) أي ناشئ من الحب أو ذو حب أي دالّ عليه

المعنى — أن مديح البوصيرى لك لم يجر به عرض من أعراض الدنيا ولا هو يبتغى منه غرضاً من أغراضها بل كان ناشئاً عن حب لك وإخلاص لم تشبه شائبة وإذا كان الأمر كذلك كان قوله منطبقاً على صفاتك ومزاياك التي نشأ عنها حبه لك وجرى بها مديحه فيك

وقد ذهب في الشطر الثاني من البيت مذهب المثل

(٢) (الصوب) الانصباب ومجيء السماء بالمطر — (العارض) السحاب المعترض فى الأفق — (العرم) يريد المطر الشديد

يريد أنه لم يطاول البوصيرى فى بردته أو يقصد مساماته والتبريز عليه في بلاغة شعره ورقة نظمه ولطف منزعه وإن كان جاراه في رويه وقافيته والغرض من نظم قصيدته وهو مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم

وفي البيت الجناس

وَإِنَّمَا أَنَا بَعْضُ الْغَابِطِينَ وَمَنْ * يَغْبِطْ وَلِيَّكَ لَا يُذْمَمْ وَلَا يُلَمِ (١)

هَذَا مَقَامٌ مِنَ الرَّحْمَنِ مُقْتَبَسٌ * تَرْمِي مَهَابَتُهُ سَحْبَانَ بِالْبَكَمِ (٢)

الْبَدْرُ دُونَكَ فِي حُسْنٍ وَفِي شَرَفٍ * وَالْبَحْرُ دُونَكَ فِي خَيْرٍ وَفِي كَرَمِ (٣)

---

(١) (الغابط) الذى يتمنى مثل ما للغير وليس هذا القدر بمذموم — (يُذْمَم) يُذَم

(٢) (البَكَم) الخرس

(سَحْبَان) هو سَحْبَان وائل من بنى باهلة كان يضرب بفصاحته المثل، روي أنه كان يقوم متوكأً على عصاه ويتكلم ساعات متواليات فلا يتلعثم ولا يتنحنح ولا يخرج من معنى الى معنى أو ينتقل في فنون الكلام من فن الى فن إلا كان ذلك أخفى من السر، وأدق من السحر

أدرك الاسلام وأسلم وبقي إلى زمن معاوية رحمه الله. ومن شعره

لقد علم الحي اليمانون أنني * إذا قلت أما بعد أنى خطيبها

المعنى — أن مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وذكر صفاته العالية وتعداد مناقبه الشريفة التى اختصه الله بها لا قبل للبشر ببلوغه حتى ولا سحبان الذى هو أفصح الناس وأقدرهم على القول بل لا بد من معونة الله فى ذلك وتسديده حتى يوفق العبدُ الى بلوغ هذا المقام

(٣) البيت بمثابة التعليل للبيت الذى قبله كأنه يقول كيف يستطيع المرؤ ان يوفيك ما أنت أهله من الثناء والحمد ويقدر بقوله أوصافك الشريفة ونعوتك الكريمة. أليس البدر آخرَ مايذهب اليه تشبيه الواصف بالحسن

شُمُّ الْجِبَالِ إِذَا طَاوَلْتَهَا انْخَفَضَتْ * وَالْأَنْجُمُ الزُّهْرُ مَا وَاسَمْتَهَا تَسِمِ (١)

والشرف وقد أوفيت عليه في ذلك . والبحر أليس آخر ما ينتهى إليه تشبيه الناعت بالجود والكرم فماذا يقول القائل وقد أربيت على البحر فى جودك وفى برّك وفي كرمك

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه : ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء فقال لا

عن ابن عباس رضي الله عنهما : كان النبى صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وأجود ما يكون فى شهر رمضان وكان إذا لقيه جبريل عليه السلام أجود بالخير من الريح المرسلة

عن انس بن مالك رضي الله عنه : أن رجلا سئله فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى قومه وقال أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لايخشى فاقة . وعنه رضي الله عنه . كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدّخر شيئاً لغده . وروي أنه أعطي صلى الله عليه وسلم غير واحد مائة من الأبل وأعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة

ورُوِيَ انه صلى الله عليه وسلم أعطى العباس مالم يطق حمله . وحُمِلَ إليه صلى الله عليه وسلم تسعون ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام إليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها

والأخبار في جوده صلى الله عليه وسلم وبره وسماحه اكثر من أن يسعها هذا السفر

(١) (واسمتها) يقال واسمه في الحسن فوسمه غلبه فيه

واللَّيثُ دُونَكَ بأساً عندَ وثبتهِ * إذا مشيتَ إلى شاكي السِّلاحِ كَمِي

(انخفاض الجبال) كناية عن ظهورها قصيرة بالنسبة لارتفاع قدره صلى الله عليه وسلم وعلو شأنه ويقال في البيت ماقيل في البيت السابق

(١) (الكميّ) لابس السلاح

أبلغ مايظهر بأس الشجاع وقوته إذا مشي الى قرنه الشاكي سلاحه اللابس لبوس حربه ونضاله حيث تخلع القلوب وتخذل بالمرىء قوائمه . ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الحال كان أقوى بأساً من الأسد ساعة وثابه والأسد إذا وثب كان أشد مايكون شدة وأقوى مايكون قوة

عن علي رضي الله عنه قال : إنا كنا إذا حمِيَ البأس واحمرَّت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب إلى العدوّ منه ولقد رأيتُني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو

وروي أن أبيّ بن خلف كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدى يوم بدر عندي فرس أعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها فقال صلى الله عليه وسلم أنا أقتلك إن شاء الله فلما رآه يوم أُحُدٍ شد أبي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا أي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحرث بن الصمّة فانتفض بها انتفاضة تطاير عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه

تَهفُو إليكَ وَإنْ أدمَيتَ حبَّتَهَا * في الحَرْبِ أفئِدَةُ الأَبْطَالِ وَالبُهَمِ (١)

فرجع إلى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا بأس بك فقال لو كان مابي بجميع الناس لقتلهم أليس قد قال أنا أقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفول القوم إلى مكة

عن البراء رضي الله عنه وسئلهُ رجل أفررتم يوم حنَين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لـكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفرّ ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء وأبو سُفْيان آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أنا النبي لا كذب وزاد غيره أنا ابن عبد المطّاب . قيل فما رئي يومئذ أحد كان أشد منه

وروى مسلم عن العباس رضي الله عنه قال : فلما التقى المسلمون والكفار ولّي المسلمون مدبرين وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة ألاّ تسرع وأبو سُفْيان آخذ بركابه

وقد قيل إنه مامن شجاع إلاّ وقد أُحصيت له فرّة وحفظت عنه جوَلة سواه صلى الله عليه وسلم

(١) (تهفو) هفا الظبي في المشي يهفو هفوا وهفوانا أسرع وخف فيه والمراد هنا شدة ميل القلوب له وانجذابها اليه صلى الله عليه وسلم — (حبة) القلب سويداؤه — (البهم) جمع بهمة وهو الشجاع الذى لا يهتدى في أن يؤتى

مَحَبَّةُ اللهِ أَلقَاهَا وَهَيْبَتُهُ * عَلَى ابنِ آمِنَةٍ فِي كُلِّ مُصْطَدَمِ (١)
كَأَنَّ وَجهكَ تحتَ النَّقْعِ بَدْرُ دُجىً * يُضِي مُلْتَثِماً أَوْ غَيرَ مُلْتَثِمِ (١)
بَدْرٌ تَطَلَّعَ فِي بَدْرٍ فَغُرَّتُهُ * كَغُرَّةِ النَّصْرِ تَجْلُو دَاجِيَ الظُّلَمِ (٣)

---

(١) (ابن آمنة) هي آمنة بنت وهب سيد بنى زهرة وأفضلهم نسباً وموضعاً ابن عبد مناف بن زهرة واسمه المغيرة بن حكيم بن مرة. وقد تقدم لك أن حكيما ملتقى نسب أبيه بنسب أمه صلى الله عليه وسلم

(مصطدَم) بمعنى المصدر أي الاصطدام أو الموضع أي موضع الاصطدام وهو ميدان الحرب

(٢) النَّقع غبار الحرب

(٣) (بدر) موضع بين الحرمين الشريفين أسفل وادى الصفراء هو من المدينة على ثمانيه وعشرين فرسخاً وكان موسما من مواسم العرب تجتمع لهم به سوق كل عام. وفى (بدر) كانت العزوة المشهورة التي دمغ الله فيها الشرك وأعز الإسلام. وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بأبي سفيان مقبلا من الشأم في عير لقريش يطلبون مكة فندب المسلمين اليهم وقال: هذه عير قريش فيها أموالهم فأخرجوا اليها فلعل الله أن ينفلكموها فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حرباً. وكان أبو سفيان استقدم حين دنا من الحجاز وجعل يتجسس الأخبار ويسأل من لقي من الركبان حتى أصاب خبرا من بعض الركبان أن محمداً استنفر أصحابه لك ولعيرك فجد

عند ذلك واستأجر رجلا فبعثه الى مكة وأمره أن يأتي قريشاً يستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم الخبر فمضى الرجل سريعاً الى مكة حتى إذا كان ببطن الوادي صرخ يامعشر قريش اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان بن حرب قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها الغوث الغوث فنفروا ليمنعوا عن عيرهم وكان عددهم إذ خرجوا من مكة ألفا ومائتين وخمسين رجلا ثم رجع منهم ثلاثمائة وقيل بقي ألف معهم مائة فرس كل فرس عليها درع عداما مع المشاة من الدروع وسبعمائة بعير . وخرج صلى الله عليه وسلم لثلاث خلون من رمضان في ثلثمائة وبضعة عشر رجلا فكان من المهاجرين نيف وستون ومن الأنصار مائتان ونيف وأربعون معهم فرسان وقيل ثلاثه وقيل خمسة وست دروع وثمانية أسياف وسبعون بعيرا وما كان خروجهم للقتال ولكن يبغون التعرض للعير كما تقدم القول

عن كعب بن مالك رضى الله عنه : لم أتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك غير أني تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتَبْ أحدٌ تخلف عنها إنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد

قال تعالى « وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ »

وارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان قريبا من الصفراء بعث بسبس بن عمرو الجهني وعدي بن أبي الزغباء إلى بدر يتجسسان له الخبر عن أبي سفيان بن حرب .ثم ارتحل صلى الله عليه وسلم وترك الصفراء يسارا وسلك ذات اليمين علي واد يقال له ذفران فخرج منه حتى إذا كان ببعضه نزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فاستشار الناس وأخبرهم

عن قريش وخيرهم بين العير والنفير فكان لقاء العير أحب إلى بعضهم لأنها أيسر شوكة وأوفر مغنما . قال تعالى « وَإِذ يَعِدُكُم اللهُ إِحدَى الطَّائفتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ » فقام أبو بكر فقال فأحسن ثم قام عمر فقال فأحسن ثم قام المقداد بن الأسود فقال :لا نقول كما قال قوم موسى « اذهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا » ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك فأشرق وجهه صلى الله عليه وسلم وسره قوله . ثم قال صلى الله عليه وسلم أشيروا علي أيها الناس وإنما يريد الأنصار فقال له سعد بن معاذ لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك العهود فامض يا رسول الله لما أمرت

فارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذفران وسلك على ثنايا يقال لها الأصافر ثم انحط منها على بلد يقال له الدبة ثم نزل قريبا من بدر فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد ابن أبي وقاص رضي الله عنهم فى نفر من أصحابه الى بدر يلتمسون له الخبر فأصابوا راوية لقريش معها غلامان فانطلقوا بهما الى النبي صلى الله عليه وسلم فسألهما عن قريش فقالاهم وراء هذا الكثيب فقال لهما كم القوم قالا لا ندرى قال كم ينحرون من الجزر كل يوم قالا يوما تسعا ويوما عشرا قال القوم ما بين التسعمائة والألف قال لهما من فيهم من أشراف قريش قالا عُتْبَة بن رَبيعة وشَيْبَة بن رَبيعة وأبو البُخْتُري بن هشام وحَكِيم بن حزام ونَوْفَل بن خُوَيْلد والحرث بن عامر بن نوْفل وطعيمة بن عَديّ والنَّضْر بن الحرث وزَمْعَة بن الأسود وأبو جهل بن هشام وأُميَّة بن خلف فقال عليه الصلاة

والسلام هذه قريش قد ألقت إلى المؤمنين أفلاذ أكبادها وفي رواية هذه مكة قد رمت إليكم أفلاذ أكبادها

وكان بسبس بن عمر وعديّ بن أبي الزغباء قد مضيا حتى نزلا بدرا فأناخا إلى تل قريب من الماء فسمعا جاريتين وهما يتلازمان على الماء وإحدهما تقول لصاحبتها إنما تأتي العير غداً أو بعد غد فانطلقا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بما سمعا وأقبل أبو سفيان حين تقدم العير حتى ورد الماء وعرف خبر القوم فرجع إلى أصحابه سريعا فصرف وجه عيره عن الطريق وترك بدراً يساراً ثم انطلق حتى أسرع وأقبلت قريش فنزلوا الجُحْفَة

ولما رآي أبو سفيان أنه أحرز عيره أرسل إلى قريش أنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورحالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا فقال أبو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدراً فنقيم عليه ثلاثا وننحر الجزر ونطعم الطعام ونسقي الخمور وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا فامضوا

ومضى المشركون حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي ونزل المؤمنون بالعدوة الدنيا. قال تعالى « إِذْ أَنتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ » الآية. فأصاب المشركون أرضاً صلبة وأصاب المسلمون كثيبا أعفر من الرمل تسوخ فيه أقدام الناس وحوافر الدواب واشتدت حاجتهم إلى الماء ليطهروا منه ويدفعوا به ما أدركهم من الظمأ ووسوس الشيطان إلى بعضهم فقال تزعمون أنكم على الحق وأن فيكم رسول الله وأنكم أولياء الله وقد غلبكم عدوكم على الماء وأنتم عطاش محدثون فبعث الله السماء فأصاب المسلمين ما لبدلهم الارض ولم يمنعهم المسير وأصاب قريشا منه ما لم يقدروا على أن يرتحلوا معه فزالت وساوس الشيطان

واطمأنت نفوس المسلمين وثبتت على الأرض أقدامهم . فذلك قوله تعالى « وَيُنَزِّلُ عَلَيكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ »

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبادرهم إلى الماء حتى حاذى ماءً من مياه بدر فنزل به

قيل إن الحُباب بن المنذر بن الجموح قال يا رسول الله أرأيت هذا المنزل أمنزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأى والحرب والمكيدة قال بل هو الرأي والحرب والمكيدة فقال يا رسول الله إن هذا ليس لك بمنزل فانهض بالناس حتي تأتي أدنى ماء من مياه القوم فتنزله ثم تغور ما سواه من القُلُب ثم تبنى عليه حوضا فتملأه ماءً ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أشرت بالرأى ونهض بمن معه من الناس حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه ثم أمر بالقُلُب فغورت وبنوا حوضا على القليب الذى نزل عليه

وقال سعد بن معاذ رضي الله عنه ألا نبنى لك يارسول الله عريشاً تكون فيه وندع عندك ركائبك ثم نلقي عدونا فإن أعزنا الله وأظهرنا كان ذلك ما أحببنا وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام يانبي الله مانحن بأشد حبالك منهم فبُنيَ العريش فوق تل مشرف على موضع القتال . قال السمهودي : وهو معروف مكانه عند مسجد بدر بقرب العين .

ثم صف النبي أصحابه صفوفاً وأقبلت قريش ورآها صلى الله عليه وسلم فقال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخُيَلائها وفخرها تحادك وتكذب

رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني

وبعثت قريش عمير بن وهب الجمحي — وأسلم بعد ذلك — قالوا له أحزر لنا أصحاب محمد فاستجال بفرسه حول العسكر ثم رجع إليهم فقال ثلثمائة رجل يزيدون قليلا أو ينقصونه ولكن أمهلونى حتى أنظر أللقوم كمين أو مدد فضرب في الوادي حتى أمعن فلم ير شيئاً فرجع فقال لم أر شيئاً ولكن قد رأيت يامعشر قريش البلايا تحمل المنايا نواضح يثرب تحمل الموت الناقع قوم ليس لهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم والله ماأرى أن يُقتَلَ رجل منهم حتى يَقْتُل رجلا منكم فإذا أصابو منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك فروا رأيكم فمال حكيم بن حزام إلى قوله وأتى عتبةَ بن ربيعة فشايعه على ذلك وأرسل إلى أبي جهل يسأله الرأي فأبى إلا الحرب وأفسد على الناس رأيهم فى ترك القتال وبعث إلى عامر بن الحضرمي فأذن فى الناس بالقتال. فخرج الأسود المخزومي —وكان شرساً سيء الخلق— فقال أعاهد الله لأشربن من حوضهم أولأهدمنه أولأموتن دونه فلما أهوى إلى الحوض تلقاه حمزة فأبان قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دماً ثم حبا إلى الحوض حتي اقتحم فيه يريد أن يبر بيمينه واتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض وهو أول قتيل قتل يوم بدر من المشركين

ثم خرج عتبة بن ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد بن عتبة ودعوا إلى المبارزة فخرج إليهم فتية من الأنصار فقالوا من أنتم قالوا رهط من الأنصار قالو مالنا بكم حاجة ثم نادى مناديهم يامحمد أخرج الينا أكفاءنا من قومنا فأمر صلى الله عليه وسلم الفتية بالرجوع وأشار إلى عبيدة بن الحرث وحمزة وعلي رضي الله عنهم فنهضو إليهم قالوا من أنتم فقال عبيدة عبيدة وقال

حمزة حمزة وقال علي علي قالو نعم أكفاء كرام فقتل علي الوليد وقتل حمزة عتبة واختلف عبيدة وشيبة بضربتين فأثخن كل صاحبه فكر حمزة وعلي على عتبة بأسيا فهما فدففا عليه فقتلاه واحتملا صاحبهما عبيدة فجاآ به إلى أصحابه

ثم تزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لايحملو حتى يأمرهم وقال: إن اكتنفكم القوم فانضحوهم بالنبل

وروى البخاري عن أبي أُسَيد رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر إذا أكثبوكم فارموهم واستبقوا نبلكم. (أكثبوكم) أي غَشوكم واختلطوا بكم (واستبقوا نبلكم) أي إذا كانوا على بعد فلا ترموهم فإن الرمي على هذه الحال يخطئ غالباً فلا يقع به الغرض من نكاية العدو فإذاهم صانوها عن ذلك فقد استبقوها لوقت اقتراب العدو حيث يقع بها الغرض وتُنتَظَم بها القلوب

وخرج صلى الله عليه وسلم يعدل صفوف أصحابه بقدح فى يده ثم رجع إلى العريش وناشد ربه إنجاز ما وعده من النصر بقول تعالى « وإذْ يَعِدُكم اللهُ إحْدَى الطّآئفتَيْن أنّها لَكُمْ »

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر اللهم أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد فأخذ أبو بكر بيده فقال حسبك فخرج وهو يقول « سَيهزَمُ الْجَمَعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرُ »

ولما اصطف الناس للقتال كان أول من خرج من المسلمين مهجع مولى عمر بن الخطاب فقتله عامر بن الحضرمى بسهم فكان أول قتيل قتل من المسلمين

وصدق الله وعده وأعز جنده وأمدهم بالملائكة مردفين

قال تعالى « ولقدْ نصركمُ اللهُ ببدرٍ وأنتم اذلةٌ فاتقوا الله لعلكمْ تشكرُون. إذْ تقولُ للمؤْمنين ألن يكفيكمْ أن يُمدَّكم ربُّكُم بثلاثة آلافٍ منَ الملائكة مُنْزلين. بلى إن تصبرُوا وتتقُوا ويأتوكمْ من فورهمْ هذا يُمددكُمْ ربكُم بخمْسة آلافٍ منَ الملائكة مُسوِّمين. وما جعلهُ اللهُ إلاَّ بشرَى ولتطمئنَّ قلوبكُم به وما النصرُ إلا من عند الله العزيز الحكيم ليقْطع طرفاً منَ الذين كفرُوا أو يكبتهمْ فينقلبُوا خائبين »

وقال تعالى « إذ تستغيثون ربكُمْ فاستجابَ لكُمْ أنّي ممدٌّكُمْ بألفٍ منَ الملائكة مُرْدفين وما جعلهُ اللهُ إلا بُشرى ولتطمئنَّ به قلوبكُمْ وما النَّصرُ إلا من عند الله إن الله عزيزٌ حكيم » الى قوله تعالى « إذ يُوحي ربُّك للملائكة أنِّي معكمْ فثبتوا الذين آمنوا سأُلقي في قلوب الذين كفرُوا الرُّعب فاضربُوا فوقَ الأعناق واضربُوا منهمْ كلَّ بنان » الآية

ورد فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان في العريش أخذته سنة من النوم ثم استيقظ متبسما وقال: أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل على ثيابه النقع

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر: هذا جبريل آخذ برأس فرسه

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العريش إلى الناس فحرضهم ونفَّل كل أمرئ ما أصاب وقال: والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة. فقال

عمير بن الحمام وفي يده تمرات يأ كلها أما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتي قتل وهو يقول

ركضا الى الله بغير زاد * إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد * وكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد

وقُتِل أبو جهل قتله ابنا عفراء معاذ ومعوذ الأنصاريان

عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فاذا عن يميني وعن يساري فتيَان حديثا السن فكأني لم آمن بمكانهما إذ قال لى أحدهما سرا من صاحبه ياعم أرنى أبا جهل فقلت يا ابن أخي وما تصنع به قال عاهدت لله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه فقال لي الآخر سرا من صاحبه مثله قال فما سرني أني بين رجلين مكانهما فأشرت لهما اليه فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما أبنا عفراء

وحمي البأس وقعقع النبل وتصافحت السيوف وتداكّت الصفوف على الصفوف وخرست الألسن ونطقت الأَسنة وتعلقت الأَنفاس وجالت المنايا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه شدوا فكانت الهزيمة وقتل الله من قتل من صناديد قريش وأسر منهم من أسر ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش وسعد بن معاذ قائم على بابه متوشحاً بسيفه في نفر من الأنصار يحرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم يخافون عليه كرة العدو. وأصاب المسلمون من المشركين مائة وأربعين سبعين أسيراً

وسبعين قتيلا

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : استقبل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة فدعا على نفر من قريش على شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد ابن عتبة وأبي جهل بن هشام فأشهد بالله لقد رأيتهم صرعى قد غيرتهم الشمس وكان يوما حاراً

وأمر صلى الله عليه وسلم بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا في قليب من قُلُب بدر خبيث مخبث وختم الله بالفوز للمسلمين وأعلا كلمة الأسلام

وكان الحسن البصري رحمه الله يقول عند قراءة سورة الأَنفال : طوبى لجيش قائدهم رسول الله ومبارزهم عدو الله وجهادهم طاعة الله ومددهم ملائكة الله

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان

ذُكِرْتَ بِالْيُتْمِ فِي الْقُرْآنِ تَكْرِمَةً * وَقِيمَةُ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ فِي الْيُتُمِ (١)
اللهُ قَسَّمَ بَيْنَ النَّاسِ رِزْقَهُمُ * وَأَنْتَ خُيِّرْتَ فِي الْأَرْزَاقِ وَالْقِسَمِ (٢)
إِنْ قُلْتَ فِي الْأَمْرِ لَا أَوْ قُلْتَ فِيهِ نَعَمْ * فَخِيرَةُ اللهِ فِي لَا مِنْكَ أَوْ نَعَمِ (٣)

---

(١) (الْيُتْم) في الناس فقدان الأب وهو في الأشياء التفرد وعدم وجود نظائر لها واللؤلؤة اليتيمة التي لا نظير لها في العقد — (ذكرت باليتم في القرآن) يشير الى قوله تعالى «أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى»

وحرك التاء إتباعا لحركة العين قبلها في قوله (اليتم) . أو هو بالضم جمعُ صفةٌ لموصوف محذوف أي أن قيمة اللآلئ المعتبرة في اللآلئ اليُتُم ولا يخفى مافيه من حسن التعليل

(٢) روى الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم : قال عرض عليَّ ربي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يارب ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً
وقال صاحب البردة في هذا المعنى

وراودته الجبال الشم من ذهب * عن نفسه فأراها أيما شمم

وفي البيت الجناس

(٣) وكيف لا وقد أوتي صلى الله عليه وسلم من كمال العقل وتمام الرشد وصحة الرأي وبعد النظر ونفوذه في بواطن الأشياء وإصابته أعقابها مالم يؤته مخلوق قبله ولا بعده هذا إلى عصمة الله تعالى له وتوفيقه إياه وإلهامه الصواب في القول والعمل

وحرك الميم في قوله (نعم) لضرورة القافية

أَخُوكَ عِيسَى دَعَا مَيْتاً فقَامَ لَهُ * وأَنْتَ أَحْيَيْتَ أَجْيَالاً مِنَ الرِّمَمِ (١)

وَالجَهلُ مَوْتٌ فإِنْ أُوتِيتَ مُعْجِزَةً * فابْعَثْ منَ الجَهلِ أَوْ فابْعَثْ منَ الرَّجَمِ (٢)

---

(١) (الأجيال) جمع جيل وهو الصنف من الناس – (الرمم) جمع رمة وهي العظام البالية

شبه الأيقاظ والتنبيه من الغفلة بالإحياء بجامع مابه المنفعة واستعار الأحياء لأيقاظ القلوب وإخراجها من ظلمات الجهل على سبيل التبعية

(٢) (والجهل موت) كالترشيح للاستعارة في البيت السابق وهو تشبيه بليغ – (أوتيت) خطاب لغير معين على حد قوله تعالى « وإذا رَأَيْتَ ثَم رَأَيْتَ نَعِيماً » أي يامن يتأتى أن تجرى على يديه معجزة. وهو كالاستدلال على البيت قبله وإلا فأمر الوحي قد ارتفع فلا تقع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم معجزة : قال تعالى « وَخَاتَمَ النَّبِيينَ » وقال صلى الله عليه وسلم أنا العاقب فلا نبيّ بعدي

ويحتمل أن يكون خطابا للرسول صلى الله عليه وسلم لاستحضار صورته الكريمة كأنه حاضر فيخاطب – فالشرط في قوله (فإن أوتيت) للتحقيق لا للشك نظير « إنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ » وإن كنت ابني فافعل كذا

(فابعث من الجهل) أي أحي قلوبا ميتة من الشرك بسبب جهلها والأمر في قوله (فابعث) على أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بمعنى الخبر. والمعنى وإذ أعطيت معجزة فسواء إحياؤك القلوب أي إنقاذك لها

قالُوا غزَوْتَ وَرُسْلُ اللهِ مَابُعِثُوا * لِقتْلِ نفْسٍ وَلاَ جاؤُا لِسفْكِ دَمِ (١)
جَهْلٌ وَتَضْلِيلُ أحْلاَمٍ وَسَفْسَطَةٌ * فَتَحْتَ بِالسَّيفِ بَعْدَ الفَتْحِ بِالْقَلَمِ (٢)

من ظلمات الجهل والشرك وإحياؤك الموتى . والأولى أعظم وأنفع

(والرَّجم) القبر

(١) يشير فى البيت إلى مقالة بعض المتكلمين من أهل الأديان الأخري من أن الحرب والقتل وسفك الدماء ليست من خلة الأنبياء الذين مابعثوا في الناس إلا لتقرير سعادتهم وأي سعادة أبلغ من أن تُكَفَّ دماؤهم وتُعْصَم نفوسهم وعدُّوا عليه غزاوته صلى الله عليه وسلم وأسرفوا في هذا الباب وألحوا على أسماع الناس بأمثال هذا الأقاويل حتى صوروا رسالته للجاهلين سيفاً مرهفا « ينطف دماً ويسيل مُهَجاً »

(٢) رد عليهم فى هذا البيت بأن زعمهم ذاك إنما كان من الجهل المطبق بسيرته عليه الصلاة والسلام في غزواته وقلب الحقائق بغية اشتباه الناس فى أمره وصرفهم عن استماع دعوته واتباع دينه فان أمره عليه الصلاة والسلام في غزواته لم يكن لينطبق على شيء مما زعموا وكتب التواريخ والسير تشهد أنه لم يشهر على قوم حرباً إلا بعد أن استنفد باب الكلام وأدلى بالحجة وأقام البرهان وبعد أن أفرغ الجهد بالإعذار والإنذار والترغيب فى حسن الجزاء والترهيب من سوء العذاب وبعد أن أوذي فى نفسه وأهله وعشيرته وهو يصابر قومه رجاء سكونهم إلى الحق وإمساكهم عن التمادى فى البغي وبعد أن لم يجد بدّاً من مقابلة السيف

بالسيف فإن القوم كانوا أهل طعان وضراب لا يسمعون للحجة إلا بصليل السيوف ولا ينصتون للحق إلا إذا روته لهم الأسنة

عنها الحديثُ إذا هم حاولوا سمراً * والرّزق منها إذا حلُّوا أما ريتا

وما ظنك بقوم كان يتلى فيهم كتاب الله - وهو المعجزة الباقية على الدهور - حتى إذا لم يبق لهم منفذ من الرضوخ للحجة الساطعة أخذتهم العزة بالاثم وجعلوا أصابعهم فى آذانهم وأصروا واستكبروا استكباراً وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغَوْا فيه لعلكم تغلبون

فلم يبق طريق لنشر دعوة الله مع المشرك المتعنت الواقف في طريق الحق مجردا سيفه شاهراً رمحه إلا الدخول معه في ساحة النزال لينكَفَّ عن وجه الدعوة ويكون الدين كله لله

وقد أشار بقوله (فتحت بالسيف بعد الفتح بالقلم) الى أن دعوته صلى الله عليه وسلم لم تقم على أخذ الناس بأسباب القوة واضطرارهم الى الدين بالسيف والرمح . كيف وأول ما نزل من كتاب الله تعالى « اقرأْ باسْمِ ربّكَ الّذى خلق خلقَ الانسانَ من علقٍ اقرأْ وربُّكَ الاكرمُ الّذى علّم بالقلمِ علّمَ الإنسانَ ما لمْ يعلمْ » فكان ذلك اشارة الى أن دعوته صلى الله عليه وسلم ستقوم على الحجة والبرهان وقد كان ذلك فهدى الله من هدى ولج أهل العنت في بغيهم وعتوهم وسلوا في وجه الدعوة سيوفهم فنزلت بعد ذلك آيات الجهاد

إذا شئت نازيت امرء السوء ما نزا
اليك ولا طمت اللئيم الملطما

لمّا أتى لكَ عفواً كلُّ ذي حسَب * تكفّلَ السيّفُ بالجهّال والعمم (١)

والشّرُّ إنْ تلقَهُ بالخيرِ ضقت بهِ * ذرعاً وإنْ تلقَهُ بالشرّ ينحسِمِ (٢)

---

(١) (العمم) اسم جمع للعامّة

بين في هذا البيت أن أهل العقل والأدراك وذوى الأحساب والأنساب ممن هدى الله لم يفتقر الأمر فيهم الى استعمال السيف بل سلّمت عقولهم للحجة والبرهان وبادروا الى طاعة الله من غير حرب ولا قتال بخلاف أهل الجهل والعناد الذين لم يكن لينفع فيهم غير القوة المادية فإنها السبيل الوحيد لاذعانهم وتسليمهم وعدم وقوفهم في وجه الحق وتعرضهم بالسوء للدعاة اليه

(٢) أجري المثل في هذا البيت تبيانا للحجة القائمة في الابيات قبله من أن غزواته عليه الصلاة والسلام كانت لخير الناس لا لشرهم وأنها كانت مما تقضى به الحكمة الألهية في مصلحة العباد لتقويم أمر معاشهم ومعادهم وأنه لو تركهم يسرفون في الباطل ويبغون على الحق ويفرْطون على أهله ولم يقابل طغيانهم عليه وعلى أصحابه بالبأس والشدة لاستطار شرهم ولماقامت للدين وأهله بعد ذلك قائمة

وكنت إذا قوم رمونى رميتهم * فهل أنا في ذا يال همدان ظالم

متى تصحب القلب الذكي وصارما * وأنفا حميًّا تجتنبك المظالم

وقوله (بالشر) أي بالقوة والبأس وسماه « شراً » مشاكلة. قال تعالى « وَجزاءُ سيئةٍ سيّئةٌ مثلُها »

سَلِ المَسيحيّةَ السّمحاءَ كَمْ شرِبَتْ * بالصّابِ من شهواتِ الظّالمِ الغَلِمِ (١)
طَرِيدَةَ الشّركِ يؤذيها ويوسعها * في كُلّ حينٍ قتالاً ساطعَ الحَدَمِ (٢)
لولا حُماةٌ لها هبّوا لنُصرتها * بالسّيفِ ما انتفعت بالرّفقِ والرُّحُمِ (٣)

---

(١) (السمحاء) الوارد فى كتب اللغة السمحة وهي التى لا ضيق فيها ولا شدة . قال عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية السمحة — (الغلم) الهائج الثائر الشهوة

(٢) (الحدم) بالتحريك شدة احتراق النار وحميها

(٣) (الرحم) الرقة والمغفرة والتعطف

لم يكن استعمال القوة في إقامه الدعوة للدين شأن الدين الاسلامي وحده وهذه الديانة المسيحية الموصوفة بديانة الرهبنة والسلام لم تبدأ الدعوة اليها حتى أصاب أهلها ما أصابهم من الطرد والقتل والتعذيب والتشريد والتمثيل بأيدي الجبابرة الطغاة من الملوك والقياصرة بل بأيدى الشعوب والأمم وتاريخ المسيحية بين أهل رومية مما تشيب له الولدان . وكان أقل عذاب يصيبون به أهل هذه الديانة هناك طرحهم بين الحيوانات المفترسة من الأسود والنمور تمزق أشلاءهم وتقطع أحشاءهم وهم قيام ينظرون حتى اضطر المسيحيون الى اتخاذ سراديب في جوف الارض لكيلا تنالهم العيون ولا تدركهم أيدى الطغاة الظالمين على أنهم اذا ظهروا للناس بالغوا فى كتمان أمرهم وتعرّف الواحد منهم الى أخيه باشارات خاصة جعلوها سراً بينهم . ودامت بهم الحال على هذا العذاب الشديد

لولا مكانٌ لعيسى عندَ مُرسلهِ * وحُرمةٌ وجبت للرُّوح في القِدمِ (١)
لَسُمِّرَ البدنُ الطُّهرُ الشريفُ على * لوحينِ لم يخشَ مُؤذيهِ ولم يجِمِ (٢)
جلَّ المسيحُ وذاقَ الصَّلبَ شانئُهُ * إنَّ العقابَ بقدرِ الذنبِ والجُرُمِ (٣)

قرونا حتى فشوا بحكم الزمان وتشيع لهم أحد القياصرة ليتخذهم عدّته فى إقامة ملكه وتوسيع نطاقه وجعل منهم جيوشه ورمى بهم عدوه ومقاتله فحاربوا تحت لوائه مستبسلين جزاء يده عليهم ففتحو الفتوح وملكوا الشعوب فانتشر من ذلك العهد الدين المسيحي وشاع في كثير من بقاع الأرض . فترى الدين المسيحيّ دين الرهبنة والسلام مادخل البلاد إلا على رؤوس الأسنة ولا حمل الى الأمم إلا على متون السيوف

فذلك قوله (لولا حماة لها) البيت

(١) (مكان) مكانة بمعنى القرب وارتفاع المنزلة لأن الله تعالى منزه عن المكان والجهة — (وجبت) ثبتت له من القدم لأن الله تعالى علم الأشياء وأرادها أزلاً فصارت واجبة بمعنى أنها لا تخلف أبداً

والخبر محذوف في قوله (مكان) و (حرمة) أي ثابتان

(٢) (لسمر) جواب الشرط في البيت السابق — (الطهر) الطاهر من أدران المعاصي ووصف بالمصدر مبالغة

(اللوحان) الصليب الذي أعد له صلى الله عليه وسلم — والمراد (بالتسمير) الصلب — (لم يجم) لم يفزع

(٣) (جل المسيح) على تقدير المضاف أي قدره لأن الجلالة

أَخُو النَّبِيِّ وَرُوحُ اللهِ في نُزُلٍ * فَوْقَ السَّمَاءِ وَدُونَ الْعَرْشِ مُحْتَرَمِ (١)

عَلَّمْتَهُمْ كُلَّ شَيْءٍ يَجْهَلُونَ بِهِ * حَتَّى الْقِتَالَ وَمَا فِيهِ مِنَ الذِّمَمِ (٢)

لا تنسب للذات مطلقةً إلا لله تعالى أي أنه صلى الله عليه وسلم تنزه عما رماه به اليهود من كاذب التهم وباطل الأقاويل وعما زعموا من أنهم صلبوه وقتلوه « وَمَا قتلوهُ وما صلبوهُ ولـكنْ شبّهَ لهمْ » — « وما قتلوهُ يقيناً بَلْ رَفَعهُ اللهُ إليهِ »

(شائنه) مبغضه

وحرك الراء في قوله (والجُرُم) إتباعاً لحركة الجيم قبلها

(١) (أخو النبي) أي في الرسالة — (روح الله) أي روح منه . قال تعالى « إنما المسيحُ عيسى بنُ مرْيمَ رسولُ الله وكلمتُــهُ ألقاها الى مرْيمَ وروحٌ منه » وسمي روحا لأحيائه الموتى باذن الله ولأنه نفخة من جبريل قال تعالى « فنفخنا فيه من روحنا » ونسبة النفخ الى الله تعالى مجاز — و (من) في الآية للابتداء

(فوق السماء) أى السماء الدنيا — (محترم) صفة لقوله (نُزُل) بضمتين وهو في الأصل المنزل وما هيّئ للضيف أن ينزل عليه

(٢) (الذمم) جمع ذمة وهي العهد والأمان والحق

رجوع الى خطابه صلى الله عليه وسلم — والضمير في قوله (علمتهم) لمن هداهم الله تعالى للأيمان المشار اليهم في البيت السابق بقوله « وأنت أحييت أجيالاً من الرمم »

لم يكن أحد أوفى من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعهد ولا أرعى منه لذمة ولا أحفظ لحرمة وقد جاء الدين الحنيف بهذا وتشدد فيه وأكثر من الوصية به . قال تعالى « وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً » وقال تعالى « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ » قال بعض أئمة التفسير : ومن جملتها العهد والأمان بيننا وبين غيرنا

وروى الشيخان عنه صلى الله عليه وسلم قال : أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتي يدعها إذا حدّث كذب واذا أئتمن خان واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر

وقال عليه الصلاة والسلام : لكل غادر لواء يعرف به يقال هذا غدرة فلان ابن فلان

وقال صلى الله عليه وسلم : ما نقض قوم العهد إلا كان القتل بينهم

وقد صفى الله نفسه الكريمة من البغي والجبروت وملأ قلبه الشريف عطفا ورأفة حتى أنه ليدركه من الرحمة والرقة لأعدى عدوه أكثر مما بهذا من النقمة منه والضغن عليه صلى الله عليه وسلم . وما وضع سيفه إلا حيث اقتضت الحال ولم يكن بد من ذلك لدفع المكروه وكف البغاة المتجبرين الصادين عن سبيله اللاجّين فى صرف ما بعث به من الرحمة والسعادة للناس أجمعين . فإذا حاربه أهل السطوة والعدوان كان الأمر واقفاً عند قراعهم وأخذهم بالسيف في معترك القتال . فاذا أظهره الله عليهم وأمكنه من رقابهم نهى عن تعذيبهم والتمثيل بهم على كثرة ما آذوه ومثلوا بأصحابه وعشيرته وساموهم سوء العذاب « حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ

فَشدُّوا الوَثَاق فَإِمَّا منًّا بعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا »

كانوا يتواعدون لئن أصابوا أصحابه ليتخذن من جماجمهم كؤوسا يشربون بها فاذا قامت الهيجاء ووضع أصحابه السيف فيهم قال صلى الله عليه وسلم : إذا قتلتم فأحسنوا القِتلة . فكان شأنه معهم في الحرب خيراً من شأنهم معه في السلم

وآيات عفوه واحتماله وتجاوزه صلى الله عليه وسلم لا يكاد يأخذها الاحصاء

عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً من مظلمة ظُلِمهاقط ما لم تكن حرمة من محارم الله تعالى وما ضرب بيده شيأً قط الا أن يجاهد وما ضرب خادماً ولا امرأة

وجيء اليه برجل فقيل له هذا أراد أن يقتلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن تُرَاع لن تُرَاع

وروي أن غويرث بن الحرث التمسه صلى الله عليه وسلم في إحدى غزواته فاذا هو قائل تحت شجرة ولم ينتبه النبي صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم والسيف مسلول بيده فقال غويرث من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فأخذه صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى فقال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فذهب الرجل الى قومه يقول جئتكم من عند خير الناس

وناهيك بما فعل صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة يوم أظهره الله على قريش وأمكنه من نواصيهم وليس فيهم إلا من وتره وآذاه وغلظ عليه فما كان إلا أن عفا عنهم وقال لهم : اذهبوا فأنتم الطلقاء

دَعْوَتُهُمْ لِجِهَادٍ فِيهِ سُؤْدَدُهُمْ * وَالْحَرْبُ أُسُّ نِظَامِ الْكَوْنِ وَالأُمَمِ (١)
لَوْلاهُ لَمْ نَرَ لِلدَّوْلاتِ فِي زَمَنٍ * مَا طَالَ مِنْ عَمَدٍ أَوْ قَرَّ مِنْ دُعَمِ (٢)
تِلْكَ الشَّوَاهِدُ تَتْرَى كُلَّ آوِنَةٍ * فِي الأَعْصُرِ الْغُرِّ لا فِي الأَعْصُرِ الدُّهُمِ (٣)

كل هذا كان أبلغ مثل لأصحابه رضوان الله عليهم في الوفاء بالذمم والتجاوز عمن ظلم ورد النفس عن الجري مع شهوتها في حب التشفي والانتقام

(١) (سؤددهم) بعلو شأنهم فى الدنيا وارتفاع درجتهم فى الدار الآخرة وقد جرى فى الشطر الثاني من البيت مجرى المثل

(٢) (عَمَد) جمع عمود — (قرّ) ثبت — (دُعَم) جمع دعامة وهي عماد البيت وهي هنا كناية عما يستقيم به نظام الممالك ويرتفع به شأن الأمم

(٣) (الغُرّ) جمع أغر ذي الغرة وهي بياض في الجبهة و (الأعصر الغر) التي ساد فيها العلم وعمت أسباب العدل — (الدهم) جمع أدهم وهو الأسود و (الأعصر الدهم) المظلمة التى شاع فى أهلها الجهل وفشا فيهم الظلم

مازالت الغلبة للقوة ولا زالت معتمد الدول ومستند الأمم في رفع عماد الملك وتثبيت دعامة الحكم استوى فى ذلك الأزمان السالفة التي يظنونها أزمان تأخر وتقهقر والأيام الحاضرة التى يزعمونها أيام تقدم وتنور وفي البيت الطباق

بالأمسِ مالَتْ عُرُوشٌ واعتلَتْ سُرُرٌ * لَوْلاَ القَنَا بِلُ لَمْ تَثْلَمْ وَلَمْ تُصَمِ (١)
أَشْيَاعُ عِيسَى أعدُّوا كُلَّ قَاصِمَةٍ * وَلَمْ نُعِدَّ سِوَى حَالاَتِ مُنْقَصِمِ (٢)

---

(١) (اعتلت) علت لأن افتعل يأتي بمعنى فعل

استشهد الشاعر فى هذا البيت بما يجري أمامنا من حركات الأمم فى هذه الأوقات. وكلها — لمن تأملها — أدلة ناصعة على صدق قوله وصحة حكمه

(٢) (قاصمه) كاسرة — (منقصم) منكسر

عمد الشاعر في هذا البيت الى المقارنة بين أهل الديانة المسيحية وأهل الديانة الاسلامية فذكر أن المتشيعين اليوم الى الدين المسيحي « دين الهدو والسلام » هم أهل القوة الحربية الدائبون على إعداد المهلكات الصاعقات في الحروب حتى كأنهم أصبحوا ولم يبق لهم من شغل يشغلهم إلا استخراج الذهب من بطون الأرض وإنفاقه على مصانع الحديد والفولاذ لطبع آلات الحرب فى طول الأرض وعرض البحر وقد افتنُّوا في أسباب الاهلاك والتدمير ولم يكفهم أن يدمدموا على الناس ويأخذوهم بالبلاء عن أيمانهم وعن شمائلهم ومن خلفهم ومن تحت أرجلهم حتى قاموا على تسخير الرياح ليرموهم من فوق رؤوسهم بكل دهياء صيلم على حين أن أهل الديانة الاسلامية الذين يتهمهم الظالمون بحب الفتح والجهاد ويشينون سمعتهم بحب الطعن والجلاد والولوغ في دماء العباد هم اليوم أهل السكينة والسلام وهيهات أن يدانوا أهل الديانة المسيحية في المباراة بحب الفتوح والحروب أو يشاكلوهم في ادخار آلات الحرب واستنباط معدات الكفاح

مَهْمَا دُعِيتَ إِلَى الْهَيْجَاءِ قُمْتَ لَهَا * تَرْمِي بِأُسْدٍ وَيَرْمِي اللهُ بِالرُّجُمِ (١)
عَلَى لَوَائِكَ مِنْهُمْ كُلُّ مُنْتَقِمٍ * لِلّٰهِ مُسْتَقْتِلٍ فِي اللهِ مُعْتَزِمِ (٢)
مُسَبِّحٍ لِلِقَاءِ اللهِ مُضْطَرِمٍ * شَوْقاً عَلَى سَابِحٍ كَالْبَرْقِ مُضْطَرِمِ (٣)

---

(١) (الهيجاء) الحرب — (الرُّجم) النجوم التى يرمى بها

رجع الى خطابه صلى الله عليه وسلم وشبه أصحابه بالأسود لما لهم من شجاعتهم وبأسهم — ورميه بهم كناية عن ندبه اياهم للجهاد وتقديمهم الى مواطن الطعن والجلاد

(الرمي بالرجم) يكون للشياطين ففيه استعارة مكنية أي أنهم كالشياطين يرمون بالرجم

(٢) (على لوائك) أي منضوٍ تحت لوائك استعار العلو للتحتية استعارة تمليحية — (معتزم) الاعتزام لزوم القصد واعتزم الرجل الطريق مضى فيه ولم ينثن

(٣) (مضطرم) الاضطرام توقد النار وتأججها — (سابح) جواد

شبه حميتهم ونشاطهم في الحرب وجولانهم فيها باضطرام النار وتأججها وأخذها يميناً وشمالاً واستعار الاضطرام لذلك المعنى ثم اشتق منه (مضطرم) على سبيل التبعيه

والأظهر أن الجار والمجرور فى قوله (للقاء) متعلق بقوله (شوقاً) وشوقاً مفعول لأجله

لو صادف الدهر يبغي نقلة فرمى * بعزمه في رحال الدهر لم يرم (١)
بيض مفاليل من فعل الحروب بهم * من أسيف الله لا الهندية الخذم (٢)
كم في التراب إذا فتشت عن رجل * من مات بالعهد أو من مات بالقسم (٣)

---

(١) (يبغي) يريد. والأرادة من الدهر مجاز عن التهيؤ. قال تعالى «فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه» — وشبه العزم بالسهم بجامع المضاء والنفوذ فى كل — وشبه الدهر بذى رحال بجامع التحول فى كل وحذف المشبة به ورمز إليه بلازمه وهو الرحال على طريق الاستعارة المكنية — (لم يرم) لم ينتقل ولم يتحول

وقال أبو تمام فى مثل هذا المعني وأبدع

مشت قلوب أناس فى صدورهم * لما رأوك تمشّى نحوهم قدما
أمطرتهم عزمات لو رميت بها * يوم الكريهة ركن الدهر لانهدها

(٢) (مفاليل) الفل الثلم في السيف — (الهندية) نسبة إلى الهند وكانت مشتهرة بطبع السيوف — (الخذم) جمع خذم ككتف السيف القاطع

(بيض) أي سيوف بيض. شبههم بالسيوف لأزهاقهم نفوس الأعداء وهو تشبيه بليغ — و (مفاليل) ترشيح للتشبيه بالسيوف

(٣) (بالعهد) أي احتفاظاً بما عاهد الله ورسوله عليه من نصرته رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاله بين يديه حتى يقتل أو تضع الحرب أوزارها. قال تعالى «من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه

لَوْلاَ مَوَاهِبُ فِي بَعْضِ الأَنَامِ لَمَا * تَفَاوَتَ النَّاسُ فِي الأَقْدَارِ وَالقِيَمِ (١)

شَرِيعَةٌ لَكَ فَجَّرْتَ العُقُولَ بِهَا * عَنْ زَاخِرٍ بِصُنُوفِ العِلْمِ مُلْتَطِمِ (٢)

فمنهُم مَن قضي نحبه ومنهم مَن ينتظر وما بدّلوا تبديلاً » — (بالقسم) أي براً بالقسم

(مَنْ) تفصيل لحال (الرجل) أو تفصيل لمعنى (كَمْ)

(١) أشار في هذا البيت الى أن ما ناله أصحاب الرسول رضوان الله عليهم من الفوز بالسعادة وارتفاع الدرجة عند الله تعالى إنما كان بما تقدم لهم من الفضائل والبلاء فى نصرة الدين وتعرضهم للقتل والطعن في سبيل الله تعالى ولولا ذلك ما كان لهم فضل على سائر الناس ولا عدت درجتهم منزلة غيرهم من العالمين

لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقر والإقدام قتّالُ

وقد أجرى البيت مجرى المثل

(٢) (شريعة) التنوين فيها للتعظيم وهو المسوغ للابتداء بالنكرة أو أنّ (لك) صفة وجملة (فجرت العقول بها) خبر

شبه العقول بالعيون الجارية بالماء في جوف الارض وحذف المشبه به ورمز إليه بلازمه وهو (التفجير) على سبيل الاستعارة المكنية

(زاخر) صفة لموصوف محذوف أي بحر زاخر . شبه العلم بالبحر بجامع الأحياء في كلّ على سبيل الاستعارة التصريحية — و (عن) بمعنى من

يلوحُ حولَ سنا التّوحيدِ جوهرُها * كالحلْيِ للسيفِ أو كالوشيِ للعلَمِ (١)
سمحاءُ حامتْ عليها أنفسٌ ونهىً * ومنْ يجدْ سلسلاً من حكمةٍ يحُمِ (٢)
نورُ السبيلِ يُساسُ العالمونَ بها * تكفلتْ بشبابِ الدَّهرِ والهرَمِ (٣)

---

(١) (الوشي) النقش

(٢) (حامت) عطفت ومالت — (نُهى) جمع نُهية وهي العقل — (السلسل) الماء العذب

(من حكمة) بيان للسلسل فهو مجاز بالاستعارة على حد قوله تعالى (حتىّ يتبيّنَ لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيطِ الأسودِ من الفجرِ »

المعنى — انه لسماحتها ووضاحة محجتها ونصاحة أحكامها « وما جعل عليكم فى الدّين من حرج » قد سلمت بها العقول وآمنت بها القلوب وأسرعت إليها النفوس حتى شاعت في أطراف الأرض في اليسير من الزمان والحال كذلك فى كل سائغ نافع ألا ترى الى الناس متى أصابوا الماء العذب أقبلوا عليه ينقعون به غلتهم وتركوا مادونه

وقد ذهب فى الشطر الثاني من البيت مذهب المثل

(٣) (نور السبيل) لأنها يهتدى بها إلى غاية النجح والفلاح فى الدنيا والفوز والسعادة في الآخرة — (شباب الدهر والهرم) كناية عن أوله وآخره أو عن حالتي إقباله وإدباره — وتكفلها بشباب الدهر الخ أي تكفلها بما يعلي أهلها ويصلح من شأنهم على كل حال من الأحوال بلا تغيير فى أحكامها ولا تبديل لنصوصها

يَجْرِي الزَّمانُ وأَحكامُ الزَّمانِ عَلَى * حُكْمٍ لَهَا نَافِذٍ فِي الخَلْقِ مُرْتَسِمِ (١)
لَمَّا اعْتَلَتْ دَوْلَةُ الإسْلامِ واتَّسَعَتْ * مَشَتْ مَمالِكُهُ فِي نُورِها التَّمِمِ (٢)
وَعَلَّمَتْ أُمَّةً بالقَفْرِ نازِلَةً * رَعْيَ القَياصِرِ بَعْدَ الشَّاءِ والنَّعَمِ (٣)

---

(١) نسبة (الجري) للزمان مجاز والمراد أهله — (أحكام الزمان) أحواله فلا تخص بحال دون حال لعمومها ومناسبتها لكل زمان ومكان . وفيه رد على من يزعم تخصيصها بأمة العرب فإن الله أرسل رسوله للناس أجمعين إلى أن تقوم الساعة وجعل رسالته قدراً مشتركا بينهم لافرق بين متقدمهم ومتأخرهم باديهم وحاضرهم وهو العليم بما يوافق مصالحهم على تفاوت أحوالهم واختلاف طبائعهم « تنزيل من حكيم حميد »

(٢) (التمم) التام

(٣) هذا البيت والبيت الذى قبله بمثابة البرهان على ماتقدمهما من عموم الشريعة الاسلامية ونزولها بأسباب الفوز والفلاح للناس أجمعين على تعاقب الازمان وتمايز الاحوال فان أول من تلقاها من الناس العرب وكانوا أهل بداوة حرداء وجهالة مطبقة وفقر مدقع قد اصطلحت عليهم أسباب التلف والهلاك وبغى بعضهم على بعض فلم يبق فيهم إلا موتور يطلب بوتر أو واتر مأخوذ في ثأر حتى لوأنهم استوفوا مالهم من الدماء مابقي على ظهر الجزيرة أحد . فأدركهم الله تعالى بشريعة الإسلام فصلح فاسدهم واغتنى فقيرهم وتعلم جاهلهم وكثر قليلهم وعز ذليلهم فلمافتح الله لهم الفتوح وذلل لهم الأمم وأمكنهم من زمام الممالك أحكموا بالدين سياستها وأجملوا بالشريعة

كَمْ شَيَّدَ الْمُصْلِحُونَ الْعَامِلُونَ بِهَا * فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مُلْكاً بَاذِخَ الْعِظَمِ (١)
لِلْعِلْمِ وَالْعَدْلِ وَالتَّمْدِينِ مَا عَزَمُوا * مِنَ الأُمُورِ وَمَا شَدُّوا مِنَ الْحُزُمِ (٢)
سُرْعَانَ مَا فَتَحُوا الدُّنْيَا لِمِلَّتِهِمْ * وَأَنْهَلُوا النَّاسَ مِنْ سَلْسَالِهَا الشَّبِمِ (٣)

رعايتها وقادوها إلى أبعد غايات السعادة والنجاح وناهيك بما اتسق لهم في ملك الأندلس من الحضارة الباهرة وما أزهر في عهدهم من العلوم والفنون وما أخرجوا للناس من وجوه الصناعات الى غير ذلك مما أخذه عنهم أهل الغرب وجعلوه أساس مدنيتهم التي يعاجزوننا بها اليوم

(١) (باذخ) عال

شبه الملك الذي أقاموه بالقصر الفخم وحذف المشبه به ورمز اليه بلازمة وهو التشييد على طريق الاستعارة المكنية والتشييد تخييل و(باذخاً) ترشيح

(٢) (الحُزُم) جمع حزام — (للعلم) خبر مقدم والمبتداء (ماعزموا) وقدّم الخبر ليفيد الحصر أي أن سعيهم كان خالصاً لنشر العلم وإقامة العدل وأخذ الناس الى أقصى غايات الحضارة والتمدن والرقي

وشدهم الحزم كناية عن اجتهادهم في سعيهم لهذه الاغراض

(٣) (سرعان) اسم فعل يستعمل خبراً محضاً وخبراً فيه معنى التعجب يقال سرعان ما فعل كذا أي ما أسرعه — (والنهل) أول الشرب تقول أنهلت الأبل إذا شربت من أول الورد — (السلسال) الماء العذب — (الشبم) البارد

سَارُوا عَلَيْهَا هُدَاةَ النَّاسِ فَهِيَ بِهِمْ * إِلَى الْفَلَاحِ طَرِيقٌ وَاضِحُ الْعِظَمِ (١)
لَا يَهْدِمُ الدَّهْرُ رُكْناً شَادَ عَدْلُهُمُ * وَحَائِطُ الْبَغْيِ إِنْ تَلْمَسْهُ يَنْهَدِمِ (٢)

تجوّز بالإهمال عن نفعهم بأحكام الشريعة وتعليمهم إياها — وقوله (من سلسالها) من إضافة المشبه به للمشبه

(١) (ساروا عليها) أخذوا بها وجروا على أحكامها — (هداة الناس) أي حالة كونهم هادين للناس — (فهى) أي الملة (بهم) أي بسبب قيامهم بها ونشرهم لها

(٢) (شاد عدلهم) صفة لقوله (ركناً) والعائد محذوف أي شاده

شبه الملك الذي أسسوه بالقصر ذى الركن الشديد الذى لا يحيف عليه الزمان ولا تعمل فيه أيدى الحدثان — لأنه أسس على العدل والتقوى — وحذف المشبه به ورمز اليه بلازمه وهو الركن على طريق الاستعارة المكنية

(وحائط البغي) شبه البغي ببيت قائم على أساس واهٍ بحيث إذا لمسه لامس هوى وانقض — لأنه أسس على شفا جرف — وحذف المشبه به ورمز اليه بلازمه وهو الحائط على طريق الاستعارة المكنية

« أفمن أسَّس بنيانهُ على تقوى من الله ورضوانٍ خيرٌ أم من أسَّس بنيانهُ على شفا جرفٍ هارٍ فانهارَ بهِ فى نارِ جهنَّمَ واللهُ لا يهدِى القومَ الظالمين »

نَالُوا السعادَةَ في الدَّارَينِ واجتَمَعُوا * عَلَى عَمِيمٍ مِنَ الرُّضْوَانِ مُقْتَسِمِ (١)
دَعْ عَنكَ رُومَا وَآثِينَا وَمَا حَوَتَا * كُلُّ اليَوَاقِيتِ فِي بَغْدَادَ وَالتُّوَمِ (٢)

والبيت يشير الى قولهم العدل أساس الملك

وقد ذهب في الشطر الثاني مذهب المثل

(١) (نالوا السعادة في الدراين) نالوها في الدار الأولى وكتب لهم نيلها في الدار الآخرة

(٢) (روما) هي المدينه المعروفه الآن بهذا الاسم قاعدة لمملكة إيطاليا وكانت في الزمن السابق قاعدة لمملكة الرومان المشهورة

(أثينا) قاعدة مملكة اليونان الآن وكانت من أكبر مدن الأمم اليونانية في العصور السالفة

(بغداد) قاعدة الخلافة الإسلامية فى دولة بني العباس

(التوم) جمع تومة وهى الحبة من الفضة تعمل على شكل الدره

كانت الدولة اليونانية في القرون الأُولى منبعا للعلوم والمعارف ومصدر النظار في تكوين الممالك وقد بلغ أهلها على الخصوص درجة راقية من بين الامم في العلوم العقلية والفلسفية تعد الى اليوم أساسا لطلاب هذه العلوم في أنحاء العالم وبلغت من البأس في الحروب شأوا يضرب به الامثال ووصلت في وضع الأَحكام وتسنين القوانين الى حد احتذته بقية الأُمم بعدها وبالجملة فقد كانت المدنية اليونانية من أمهات المدنيات في العالم ثم أعقبتها دولة الرومان وتغلبت على القسم الأَعظم من العالم

وَخلِّ كِسْرَى وَإِيوانًا يُدِلُّ بِهِ * هَوى عَلَى أَثَرِ النِّيرانِ وَالأُيُمِ (١)

واستولت على المدنية اليونانية فأخذت منها أحاسنها وطرائفها وأضافتها الى ما كان لديها من مدنيتها وانتفعت في تكوين نظامها بما وضعه فلاسفة اليونان وحكماؤهم وحولت ما هنالك من علوم البحث والنظر الى الوضع والعمل فكان لها القدح المعلى في باب تسنين القوانين ووضع أصول الأحكام ولا زال طلاب الأحكام الوضعية يتدراسون قانونهم الى اليوم. ثم انهم فاقوا الأمم جميعا في أبواب الرفه والترف والتفنن في استنباط اللذائذ وبلغوا من ذلك مبلغاً لا يزال الغرب الى اليوم يقلدهم فيه

ثم جاء الاسلام بالشرع الالهى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وظهرت مدنية الاسلام فبزت مدنية الدولتين في العزة والمنعة والقصد والعدل والفضيلة والتنزه عن الجري مع الشهوات الباطلة فأزهر العلم وربت المعارف ووصلت مدنية الإسلام في عهد بنى العباس الى غاية لم تلحقها أمه من الأمم وكانت سرة مدائنهم بغداد التي اجتمع لها من أسباب المدنية الصحيحة والحضارة الراقية ما لم يجتمع لمدينة غيرها.

فذلك قوله (كل اليواقيت في بغداد والتوم)

وحرك الواو إتباعاً لحركة التاء قبلها

(١) (كسري) لقب لكل من يلى ملك فارس – «النيران» لعله يريد بها نيران فارس التي خبت ليلة مولد النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك في أيام كسرى أنو شروان – (الأُيُم) في القاموس الايام ككتاب الدخان ولعله المقصود هنا لمناسبة (النيران)

وأترك رعمسيس إن الملك مظهره * في نهضة العدل لا في نهضة الهرم (١)

بعد ماقارن فى البيت السابق بين مدنية الاسلام ومدنية الدولتين عطف على الدولة الفارسية فأشار إلى أن أرقى ما انتهى الى الناس من أمر مدنيتها هي تلك البنية « الايوان » التي افتنت فى تشييدها وتنسيقها ولبثت السنين الطوال تفاخر بها الأمم وتعاجز بها الدول وهاهي تى قد تصدعت ليلة مولد صاحب الشريعة الاسلامية صلى الله عليه وسلم ودرست آثارها بعد ذلك كما خمدت نيرانهم التى قيل إنه قد مضى عليها ألف عام لم تخب فى غضونها لمحة واحدة فأين هذا وذاك من مدنية الاسلام التي أنافت بالجوزاء رفعة وعلاء وعمت الخافقين نورا وضياء

(١) (الهرم) الأهرام فى مصر كثيرة وأشهرها أهرام الجيزة الثلاثة وأكبرها أشهرها وأعجبها حتى إذا ذكر لفظ « الهرم » صرفه العرف اليه

(رعمسيس) اسم بعض الفراعنة « ملوك مصر القدماء » وقد تسمى بهذا الاسم غير واحد منهم . ولعل الشاعر يريد أولئك الفراعين على الجملة الذين ينتسب مجدهم الى مثل هذا العمل الخطير وإن كان بانى الهرم ليس (رعمسيس) بعينه

يقول : ماكان لقدماء المصريين أن يفاخروا بمدنيتهم التى كان أسمى مظاهرها هو هذا البنيان السامق على حين أمسى أكبر الأدلة على ظلمهم وجبروتهم. وأي مدنية هذه التي تزين لرجل واحد أن يسوق من رعيته مائة ألف رجل أو يزيدون فيحملهم الأثقال ويسخرهم في مشاق الأعمال حتى إذا ماذقت أعناقهم واختلفت أضلاعهم وفتت سواعدهم التقط غيرهم من

دارُ الشرائعِ روما كلماذُكرتْ * دارُ السلامِ لها ألقتْ يدَ السّلمِ (١)
ما ضارعتها بياناً عندَ ملتئِمٍ * ولا حكتها قضاءً عندَ مختصَمِ (٢)

أمته التي أوشكت أن تفنيها ثلاثون سنة على هذه الحال بلا أجر ولا جزاء كل ذلك ليبني قبراً لنفسه يطاول كيوان وتبلى دونه الأزمان

ليس هذا بمظهر التمدن إنما مظهره العدل الذي تصلح به أحوال الرعية وتستقيم به أمورهم فتنهض بهم الدولة ويعلو شأن الأمة والعدل أساس الملك

(١) (دار السلام) بغداد — (والسلم) التسليم

(٢) (ملتئم) مجتمع — (مختصم) بمعنى المصدر أي اختصام

كما اشتهرت (روما) بقضائها وقوانينها قد اشتهرت بخطبائها وشعرائها وكان من عادة الرومانيين إذا نزل بهم الأمر العظيم نفروا الى بعض أماكنهم العامة فخطبهم الخطباء وأنشدهم الشعراء الذين كان لفصاحة ألسنتهم في الناس تأثير عجيب ومع هذا فما دانوا في قضائهم شأو بغداد التى كان يقضى فيها بدين الله وهو أجل من أن يقاس به غيره ويوازن به ماسواه ولا بلغوا في فصاحتهم شأن فصحاء الدولة العباسية الذين تقاولوا فى كل باب فهزوا النفوس وخلبوا الألباب حتى أن بعض الأمراء كانوا إذا أمتنع عليهم فتح قلعة أو تعذر عليهم امتلاك حصن أو أوشك أن يسطو بجيوشهم العدو أنشدوا فى عسكرهم ماينظم شعراؤهم في أبواب الحماسة فحميت نفوسهم وقويت قلوبهم واشتد بأسهم وجرفوا عدوهم ويسر لهم

وَلَا احتوت في طِرَازٍ مِن قياصِرِهَا * عَلَى رَشِيدٍ وَمَأْمُونٍ ومُعْتَصِمِ (١)

ما كان قد امتنع عليهم فكان شعر الشاعر وقول الكاتب أقوى لظهورهم من إسعافهم بالجيوش وإمدادهم بالكتائب. ولا نطيل القول فى هذا الباب فإن المقام غني عن التبيين

(١) (الطراز) علم الثوب والجيد من كل شيء – (ما احتوت على رشيد الخ) أي على أمثالهم فى الفضل والعدل والحزم

(رشيد) هو هارون الرشيد بن محمد المهدى الخليفة العباسي المشهور ولي الخلافة بعد أخيه موسي الهادى عام سبعين ومائة.

كان الرشيد من أفاضل الخلفاء وعلمائهم وفصحائهم وكرمائهم أحسن سياسة الرعية وأقام فيها القسط وقدم أهل العلم والفضل فاستقام له الملك وأزهرت في عهده الدولة واتسعت رقعة المملكة حتى جبي إليه معظم الدنيا وكان يحب الشعر والشعراء ويجزل لهم الصلات فكان للأدب في أيامه شأن عظيم

قال الأصمعي: صنع الرشيد طعاما وزخرف مجلسه وأحضر أبا العتاهية وقال له صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا فقال أبو العتاهية

عش ما بدالك سالما * في ظل شاهقة القصور

فقال الرشيد أحسنت ثم ماذا فقال

يسعي عليك بما اشتهيت لدى الرواح أو البكور

فقال حسن ثم ماذا فقال

فإذا النفوس تقعقعت * فى ظل حشرجة الصدور

فهناك تعلم موقنا * ما كنت إلا في غرور

فبكى الرشيد فقال الفضل بن يحيى بعث إليك أمير المؤمنين لتسره فأحزنته فقال الرشيد دعه فإنه رآنا في عمى فكره أن يزيدنا منه. وحج مرة ماشيا ولم يفعلها خليفة غيره. وكان يتواضع للعلماء ويدني منه مجالسهم. قال أبو معاوية الضرير وكان من أفاضل العلماء: أكلت مع الرشيد يوماً فصب على يدي الماء رجل فقال لي يا أبا معاوية أتدري من صب الماء على يدك فقلت لا يا أمير المؤمنين قال أنا فقلت يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا إجلالاً للعلم قال نعم. وكان الرشيد عالما شاعراً رواية للأخبار

ومات بطوس سنة ثلاث وتسعين ومائة

(مأمون) هو عبد الله المأمون بن هارون الرشيد الخليفة العباسي المشهور بويع له بالخلافة بعد أخيه محمد الأمين سنة ثمان وتسعين ومائة. كان المأمون من أفاضل الخلفاء وعلمائهم وحكمائهم حاط دولته بالحزم والعزم وكان فطنا شديداً كريماً خص علوم الحكمة وحصل كتبها وأمر بنقلها الى العربية وقرب أهل العلم والحكمة وعقد مجالس المناظرة واجتمع له في هذا الباب ما لم يجتمع لخليفة غيره. وكانت أحدى هناته العظيمة القول بخلق القرآن وقد لجَّ في ذلك وألزم الناس أن يقولوا به وغلظ على العلماء وآذى من لم يقل مقالته من أئمة الدين ولولا أن تقدمت له هذه ما فضله من العباسيين أحد

ومات بثغر طرسوس سنة ثماني عشرة ومائتين

(معتصم) هو أبو اسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد. ولي الخلافة يوم وفاة أخيه المأمون. وكان المعتصم سديد الرأي شديد المنة

شجاعاً سلخ سنى خلافته فى الفتوح والحروب وفتح عمورية فى سنة ثلاث وعشرين ومائتين

والسبب في غزوها أن ملك الروم خرج الى بعض بلاد المسلمين ونهب حصنامن حصونهم يقال له «زبطرة» وقتل من به من الرجال وسبي الذرية والنساء. وكان فى جملة السبي امرأة هاشمية فسمعها بعض تبعه وهى تقول وامعتصماه. فقال لها سيوافيك المعتصم على بلق الخيول يتهكم عليها ويسخر منها وانتهى الى المعتصم ذلك فاستعظمه وصاح من مجلسه لبيك لبيك ونهض من فوره وصاح فى قصره الرحيل الرحيل وكَفَّأ آنيته ثم ركب دابته وسمط خلفه شكالاً وحقيبة فيها زاده وأمر العسكر بالتبريز ثم سار فظفر ببعض الروم فسأله عن أحصن مدنهم وأعظمها وأعزها عندهم فقال له إن عمورية هي عين بلادهم وأمنعها فقصد اليها وجمع عساكره عليها وحاصرها ثم فتحها وقتل فيها وفي بلادهم وسبي وأسر وبالغ في تأديبهم حتى هدم عمورية وعفّى آثارها

وفي هذه الواقعة قال أبو تمام بائيته المشهورة التى أولها

السيف أصدق أنباء من الكتب * فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريَب

ومنها يخاطب المعتصم

خليفة الله جازى الله سعيك عن * جرثومة الدين والاسلام والحسب
بصرت بالراحة الكبرى فلم ترها * تنال إلا على جسر من التعب

ومنها يشير إلى مبالغة المعتصم فى قتالهم واستئصاله إياهم

لم تطلع الشمس منهم يوم ذاك على * بان بأهل ولم تغرب على عزب

مِنَ الَّذِينَ إِذَا سَارَتْ كَتَائِبُهُمْ * تَصَرَّفُوا بِحُدُودِ الأَرْضِ وَالتُّخُمِ (١)
وَيَجْلِسُونَ إِلَى عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ * فَلاَ يُدَانُونَ فِي عَقْلٍ وَلاَ فَهَمِ (٢)
يُطَأْطِئُ العُلَمَاءُ الهَامَ إِنْ نَبَسُوا * مِنْ هَيْبَةِ العِلْمِ لاَ مِنْ هَيْبَةِ الحُكُمِ (٣)
وَيُمْطِرُونَ فَمَا بِالأَرْضِ مِنْ مَحَلٍ * وَلاَ بِمَنْ بَاتَ فَوْقَ الأَرْضِ مِنْ عُدُمِ (٤)

ومات المعتصم سنة سبع وعشرين ومائتين

(١) (الكتائب) جمع كتيبة وهي الجيش — (التخم) كعنق جمع تخوم وهي الفواصل بين الأرضين من العالم والحدود

(٢) كانت عادة الخلفاء من بنى أمية وبنى العباس إذا فرغوا من النظر في أمور الدولة وانتهوا من مجالس القضاء والحكومة بين الناس دعوا من ببابهم من العلماء والأدباء والشعراء فعقدوا بحضرتهم مجالس العلم والأدب وكان لأكثرهم فقه في الدين وتقدمٌ في تحصيل العلوم وروايةِ الأخبار وحسنُ نظر في نقد الشعر وخبرةٌ بمواضع الكلام

(٣) (طأطأ) الرجل رأسه خفضها — (الهام) جمع هامة وهى رأس كل شيء — (نبسوا) تكلموا فأسرعوا والمراد هنا مطلق التكلم

وحرك الكاف إتباعاً لحركة الحاء قبلها ويجوز أن يكون بفتحتين والحكم الحاكم والأول هو الأنسب

(٤) (المحل) الجدب — (العدم) فقدان المال

وأخبار عطاياهم وهباتهم وما ألطفوا الناس به من الطرائف وأقطعوهم من الضياع وأجروا عليهم من الوظائف قد احتشدت به الكتب

خَلاَئِفُ اللهِ جلُّوا عَنْ مُوازَنَةٍ * فَلاَ تَقِيسَنَّ أَمْلاَكَ الوَرَى بِهِمِ (١)

مَنْ فِي البَرِيَّةِ كَالفَارُوقِ مَعدلَةً * وكَابْنِ عَبْدِ العَزِيزِ الخَاشِعِ الحَشِمِ (٢)

وأمتلأت به بطون السير وإن كان بعضها قد غالى في ذلك وذهب فى تقدير عطاياهم ومنحهم مذهباً أخرجها عن الحد وجاوز بها القصد . ولكن الثابت على كل حال أنهم أطلقوا أيديهم بالعطاء ووصلوا أهل الحاجة وحملوا الكلّ وأحسنوا جوائز من قصدوهم من الأدباء والشعراء

وحرك الدال إتباعاً لحركة العين قبلها في قوله (العدم)

(١) (خلائف الله) هذا قول مستأنَف عام لجميع الخلفاء المتقدمين والمتأخرين . وذكر الخلفاء الراشدين بعده من ذكر الخاصّ بعد العامّ اهتماما بشأنهم وتيمنا بذكرهم

وكيف لا يعد تنقُّصاً لقدرهم ووترا لحقهم أن يقاس بهم غيرهم من الأمراء أو أن يُلتمس لهم شبيه بين ملوك الأمم ورهاقينها وهم ورثة الرسول صلى الله عليه وسلم الذين اصطفاهم الله لصحبته فتقدمت عنده رتبتهم وعنه أخذوا حكم الأمم وسياسة الدول وأثَرُ ذلك ما تعرف من أمر خلافتهم وذلك أشهر من أن يحتاج إلى التعريف وأظهر من أن يحتمل البيان

ووصل بهم عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لشدة فضله وورعه وتشبهه بهم واقتدائه فى حكومته بحكومتهم فكان حقيقا أن يذكر فيهم ويلحق بهم

(٢) (المعدلة) العدل

(الفاروق) هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسمي فاروقا لفرقه بين الحق والباطل بمعنى تحقيقه الحق وإدحاضه الباطل

كان عمر رضي الله عنه أعدل الناس وأمضاهم فى الحق وأرعاهم لأقامة حدود الله تعالى . واستقصاء أخباره في هذا الباب مما يطول به القول وفي هذا المثال الذي نرويه لك غنى وكفاية يعرف منه من لا يعرف عمر كيف كانت شدته في الحق وإسراعه إلى أخذ الناس بالعدل بالغين ما بلغوا من عظم القدر ونباهة الذكر

روى أن جبَلَة بن الأَيهم بن أبى شمر الغسانى آخر ملوك الغسانيين لما أراد الأسلام أقبل الى المدينة في خمسمائة فارس عليهم ثياب الوشي وهو لابس تاجه وفيه قرط مارية ففرح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب باسلامه وفرح المسلمون وخرجوا لتلقّيه حتى حضر الموسم من عامه ذلك مع عمر رضي الله عنه وبينا هو يطوف بالبيت اذ وطئ على إزاره رجل من بني فزارة فحله فلطمه جبَلة فهشم أنفه فاستعدى عليه الفزاري عمر بن الخطاب فبعث اليه فقال مادعاك ياجبلة الى أن لطمت أخاك هذا الفزاري فهشمت أنفه فقال إنه وطئ إزاري فحله فقال له عمر أما أنت فقد أقررت إما أن ترضيه وإلا أقدته منك قال أتقيده وأنا ملك وهو سوقة قال ياجبلة إنه قد جمعك وإياه الاسلام فما تفضله بشئ إلا بالعافية قال والله لقد رجوت أن أكون فى الاسلام أعز منى في الجاهلية قال عمر هو ذلك قال أخرني الى غد يا أمير المؤمنين قال ذلك لك فلما كان جنح الليل خرج هو وأصحابه فلم يثن حتى دخل القسطنطينية على هرقل فتنصر وأقام عنده

(ابن عبد العزيز) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان الخليفة الأُموي

وَكالاءِ مامٍ إذا ما فضَّ مُزدحماً * بمدمعٍ في مآقي القومِ مُزدحمِ (١)
الزَّاخرُ العذبُ في علمٍ وفي أدبٍ * والنَّاصرُ النَّدبُ في حربٍ وفي سلمِ (٢)

بويع له بالخلافة بعد موت سليمان بن عبد الملك سنة تسع وتسعين

كان عمر بن عبد العزيز من أفضل الخلفاء وأعلمهم وأورعهم وأزهدهم وأرغبهم فى العمل للآخرة وكان له في باب الزهد والتقشف ما لم يسمع بمثله عن خليفة بعده ملك الأمم وجبى أقطار الأرض . وقد ساس الناس وأقام العدل وانتصف لرعيته حتى من نفسه وخاصة أهله ورد المظالم حتى مضى بعدله المثل فاشتد في عهده ساعد الدولة وقام به عمود الملة

ومن أحسن ما يؤثر له أن عبد الملك بن مروان دعاه اليه مرة فى جوف الليل فأقبل عليه فإذا الخليفة جالس وبين يديه رجل مكبل بالحديد والسياف قائم على رأسه فقال له يا أبا حفص ما قولك في رجل سب أمير المؤمنين وسب أباه فقال سبه كما سبك وسب أباه كما سب أباك فغضب من ذلك عبد الملك وأمر بالرجل فقتل

وتوفي عمر رحمه الله بدير سمعان سنة إحدى ومائة

(١) (الأمام) هو الأمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه — (مآقي) جمع مأق وهو من العين طرفها مما يلي الأنف وهو مجرى الدمع

(٢) (الندب) في لسان العرب يقال رجل ندب خفيف في الحاجة سريع ظريف نجيب

كان الامام رضي الله عنه أفصح الناس إذا خطب وأبلغهم إذا كتب أما علمه وفقهه فالبحر لا يدرك غوره ولا ينزف غمره من قرأ سيرته

أوَ كَابنِ عفّانَ والقرآنُ في يدِهِ * يحنُو عليهِ كما تحنُو على الفُطُمِ (١)

وَيَجمَعُ الآيَ ترتيباً وينظِمُهَا * عقداً بجيدِ الليالي غيرَ منفصِمِ (٢)

وتتبع كلامه وكتبه عرف له أعظم من هذا وأبلغ وأما شجاعته في الحرب ونجدته في السلم فقد شاع القول فيهما على ألسنة الناس عامهم وخاصتهم حتى لم يبق ثمت محل للتعريف ولا موضع للبيان

(١) (بن عفان) هو امير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه — (الفطم) جمع فطيم وهو الصبي المفصول عن الرضاع

(٢) قال الجلال السيوطي رحمه الله في كتاب الاتقان في النوع الثامن عشر في جمع القرآن وترتيبه مانصه

قال الخطابي إنما لم يجمع صلى الله عليه وسلم القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلك وفاء لوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة فكان ابتداء ذلك على يد الصديق بمشورة عمر

وقال الحاكم في المستدرك جمع القرآن ثلاث مرات إحداها بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم والثانية بحضرة أبي بكر (الى أن قال) قال الحاكم والجمع الثالث هو ترتيب السور في زمن عثمان روى البخاري عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازى أهل الشام في فتح أرمينيه وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال لعثمان أدرك الأمه قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى

فأرسل الى حفصة أن أرسلي الينا الصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها اليك فأرسلت بها حفصة الى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وأرسل الى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق . الى أن قال الجلال

قال ابن حجر وكان ذلك فى سنة خمس وعشرين

وأخرج ابن أبي داوود من طريق محمد بن سيرين عن كثير بن أفلح قال لما أراد عثمان أن يكتب المصاحف جمع له اثني عشر رجلاً من قريش والأنصار فبعثوا الى الربعة التى في بيت عمر فجيء بها وكان عثمان يتعاهدهم فكانوا إذا تدارؤا في شيء أخروه قال محمد فظننت إنما كانوا يؤخرونه لينظروا أحدثهم عهداً بالعرضة الأخيرة فيكتبونه على قوله

وقال القاضى أبو بكر في الانتصار لم يقصد عثمان قصد أبي بكر فى جمع نفس القرآن بين لوحين وإنما قصد جمعه على القرآت الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم وإلغاء ماليس كذلك وأخذهم بمصحف لاتقديم فيه ولا تأخير ولا تأويل أثبت مع تنزيل ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه ومفروض قراءته وحفظه خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتى بعد

وقال الحارس المحاسبي المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان

جُرْحانِ فى كَبِدِ الإسلامِ ما التأَما * جُرْحُ الشهيدِ وجُرْحٌ بالكتابِ دَمِي (١)

وما بلاءُ أبي بكرٍ بمتهمٍ * بعدَ الجلائلِ فى الأفعالِ والخدَمِ (٢)

وليس كذلك إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينهم وبين من شهده من المهاجرين والأنصار لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشأم فى حروف القرآت فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القرآت المطلقات على الحروف السبعة التى أنزل بها القرآن فأما السابق الى جمع الجملة فهو الصديق وقد قال علي لو وليت لعملت بالمصاحف التى عمل بها عثمان » انتهى

(١) (وجرح بالكتاب دمي) أي وجرح دمي به الكتاب وقلب للمبالغة

وذلك أن قتلة عثمان رضي الله عنه دخلوا عليه الدار وخبطوه بالسيوف وهو صائم والمصحف فى حجره وهو يقرأ فيه فوقع المصحف بين يديه وسال الدم عليه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

(٢) لم يبل أحد من الناس بلاء أبي بكر رضي الله عنه في إعزاز كلمة الدين ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أول من آمن به وصدقه بظهر الغيب وآثره على نفسه وخاصة أهله وكان أحب الناس اليه صلوات الله وتسليماته عليه وأعظمهم منه موضعاً وأكرمهم محلا حتى قال صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذاً خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلا

وتعداد مناقبه وآثاره رضي الله عنه يحتاج الى سفر خاص على أنها

بالحزم والعزم حاط الدين في محن * أضلت الحلم من كهل ومحتلم (١)
وحذن بالراشد الفاروق عن رشد * في الموت وهو يقين غير منبهم (٢)
يجادل القوم مستلاً مهنده * في أعظم الرسل قدراً كيف لم يدم (٣)

أشهر من أن تنوه بها الأسفار أو تقوم بتعريفها الأخبار

(١) يشير الى ما كان من افتتان الناس يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث ارتد عن الاسلام كثير من الأعراب في النواحي المتفرقة وامتنعوا من أداء الزكاة فأزمع أبو بكر رضي الله عنه قتالهم فأشار عليه من حضره من كبار الصحابة بترك ذلك لئلا تفشو الفتنة ويشتد الخطب فأبى إلا هذا وعزم على الخروج إليهم بنفسه ولو لم يتبعه من الناس أحد وقال والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه فاستنفر الناس للجهاد وسير اليهم إحدى عشرة كتيبه فقاتلتهم وكانت الغلبة للجيوش الاسلامية فأبادتهم قتلا وأسرا ورجع من بقي منهم إلى الأسلام وأدى الزكاة

(٢) يقول ما ظنك بتلك المحن التي تنحرف بعمر رضي الله عنه عن الرشد وله ما تعلم من كمال الرشد ووفور العقل وصدق اليقين وتذهله عن إدراك أمر من أظهر البديهيات لديه وهو أن يدرك الموت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل نفس ذائقة الموت

(٣) وذلك أنه لما قبض رسول الله صلى عليه وسلم وقال الناس مات رسول الله أسرع عمر الى سيفه وتوعد من يقول ذلك وقال إني لأرجو أن

لا تَعذِلُوهُ إذا طافَ الذُّهولُ بهِ * ماتَ الحبيبُ فضلَّ الصبُّ عن رَغَمِ (١)

***

يارَبِّ صلِّ وسلِّمْ ما أردتَ على * نزيلِ عرشِكَ خيرِ الرُّسْلِ كلِّهِمِ (٢)

يقطع أيدي رجال وأرجلهم فلما حضر أبو بكر وأخبر الخبر كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال بأبي أنت وأمي والله لايجمع الله عليك موتتين أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها . ثم خرج الى الناس وقال : ألا من كان يعبد محمدا فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وتلا قوله تعالى «إنكَ ميِّتٌ وإنهمْ ميِّتونَ» وقوله تعالى «وما محمدٌ إلا رسولٌ قدْ خلتْ منْ قبلهِ الرسلُ أفائنْ ماتَ أو قتلَ انقلبتُمْ على أعقابكُمْ» الآية . وقال عمر رضي الله عنه والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها

(١) ما بعمر إنكار للموت ولا جحود لقول الله ولكن أذهلته شدة المصيبة وأي مصيبة أعظم من موت رسول الله صلى عليه وسلم فلا لوم عليه فيما ملكه من الذهول ولا عتاب عليه فيما تولاه عند هذه الحال من الجزع وأي امرئ لم يجزع وأي كبد لم تتصدع وأي عزم لم يتخذل وأي عقل لم يتزلزل

لقد كان يدعى لابس الصبر حازما * فأصبح يدعى حازما حين يجزع

***

(٢) (نزيل عرشك) كناية عن ارتفاع درجته صلى الله عليه وسلم

مُحْيي اللَّيالِى صلاةً لا يُقطِّعُها * إلاَّ بِدمعٍ مِن الإشفاقِ مُنسَجِمِ (١)
مُسبِّحاً لكَ جُنحَ الليلِ مُحتمِلاً * ضُرّاً من السُّهدِ أو ضُرّاً مِن الوَرَمِ (٢)
رَضيَّةً نفسُه لا تشتكي سأَماً * وما مع الحُبِّ إنْ أخلَصتَ مِن سأَمِ (٣)
وَصلِّ ربِّي على آلٍ له نُخَبٍ * جعلتَ فيهم لواءَ البيتِ والحَرَمِ (٤)
بيضُ الوُجوهِ ووجهُ الدهرِ ذُو حَلَكٍ * شُمُّ الأُنوفِ وأنفُ الحادثاتِ حَمِي (٥)
وأهدِ خيرَ صلاةٍ منكَ أربعةً * في الصَّحبِ صُحبتُهُم مَرعيَّةُ الحُرَمِ (٦)

وقربه من ربه

(١) (الأشفاق) الخوف أي من الله تعالى — (منسجم) منسكب

(٢) عن المغيرة بن شعبة قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له أتتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. قال أفلا أكون عبداً شكوراً

وقال صاحب البردة رحمه الله

ظلمتُ سنةَ من أحيا الظلام الى * أن اشتكت قدماه الضُّرَّ من ورم

(٣) (رضية) راضية

(٤) (النخب) جمع نخبة وهو الرجل المختار

(٥) (الحلك) محركة شدة السواد — (الشمم) في الأنف ارتفاع القصبة وحسنها وهو هنا كناية عن الحمية وشرف النفس — (وأنف الحادثات حمى) كناية عن اشتداد الخطب واستفحال الأمر

(٦) (الحُرم) جمع حرمة وهي الذمة والمهابة وما لا يحل انتهاكه —

الرَّاكبينَ إذا نادى النبيُّ بهمْ * ماهالَ منْ جللٍ واشتدَّ منْ عممِ (١)
الصابرينَ ونفسُ الأرضِ واجفةٌ * الضاحكينَ إلى الأخطارِ والقُحَمِ (٢)
يا ربِّ هبَّتْ شعوبٌ من منيَّتها * واستيقظتْ أممٌ من رقدةِ العدمِ (٣)
سعدٌ ونحسٌ ومُلكٌ أنتَ مالكُهُ * تُديلُ منْ نِعمٍ فيهِ ومنْ نقمِ (٤)

و (الأربعة) أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين

(١) (هاله) الأمر هولا أفزعه — (الجلل) هنا الأمر العظيم — (العمم) الحادث العمم الطويل كربه الشديد مشقته

(٢) (وجف) يجف اضطرب — (القُحَم) الأمور العظام التى لا يركبها كل أحد

(٣) (هبت) انتبهت — (الشعوب) جمع شعب وهو القبيلة العظيمة وقيل الحي العظيم

(٤) كلام مستأنف بمنزلة التعليل لما سبق أي أن ما كان من هبوب تلك الشعوب ونهوضها بعد طول رقادها إنما كان بأمر الله تعالى وقضائه وهو سبحانه المنفرد بالتأثير فيما يتغير على خلقه من عزة وهوادة وارتفاع واتضاع «وتلكَ الأيامُ نُداوِلُها بينَ النّاسِ» والمقدر لكل مايقع فى ملكه من سعادة بعض الشعوب وإقبال الدولة عليهم ونحوسة بعضها وتنكر الأيام لهم «قُلِ اللّهمَّ مالكَ المُلكِ تؤتي المُلكَ منْ تشاءُ وتنزِعُ المُلكَ ممّن تشاءُ وتُعزُّ من تشاءُ وتُذلُّ من تشاءُ بيدِكَ الخيرُ إنّكَ على كلِّ شيءٍ قدير»

رَآى قضاؤكَ فينا رَأْيَ حكمته * أَكْرِمْ بوجهك من قاضٍ ومُنْتَقِمِ (١)

فالطُفْ لأَجْلِ رسولِ العالمين بنا * ولا تَزِدْ قومه خسفاً ولا تَسِمِ (٢)

يا ربِّ أحسنت بدءَ المُسْلِمين به * فتمِّمِ الفضلَ وامنحْ حُسْنَ مُخْتَتَمِ (٣)

---

(١) نسبة الرأي للقضاء مجاز أي رأيت بقضائك فينا — (رأي حكمته) أي حكمة صاحب القضاء — (قاض) بالخير (منتقم) من ذوي الشر

(٢) (لا تسم) سام يسوم والسوم التكليف وأن تجشم إنساناً مشقة أو سوأً

(٣) لا يخفى ما في (حسن مختتم) من حسن الختام

يقول الضعيف المفتقر الى عفو ربه خادم العلم سليم بن أبي فراج ابن سليم البشري :

هـذا ماجرى به القلم شرحاً وبياناً لهـذه القصيدة الحفيلة بالمعاني الكثيرة فى الأغراض المتفرقة . ولو أن الكاتب عمد الى كل بيت ففسر غريبه ، وفصّل مجمله ، وأفشى معناه ، ونزل عند مغازيه ، وعرض على وجوه العربية مفرده ومركبه ، وأرسل الإشارة الى كل ماوقع له من دقائق البلاغة وفنون البديع ، وطلب القصة التى يومأ اليها فيه ، ووازن بينه وبين مايجانسه من الشعر ويسايره من الكلام ، وغير ذلك مما يجرى فى شرح الكلام ويدخل في أبواب نقده وتفسيره لطال القول وتجاوز القصد . ولكنا داورنا بين هذه الأغراض فى جملة القصيدة وداولناها بين أبياتها وربما قلنا فى تفسير معنى البيت وقصرنا القول فى البيت الثانى على بيان الاستعارة ووجه التشبيه وتجاوزنا هذا فى الثالث الى سرد القصة وتقرير الواقعة يشار اليها فى البيت إيجازاً للكلام ، ولنجعل للناشئ حول أبيات القصيدة فراغا يجول فيه ذهنه ، ويدور فيه فهمه ، فيقيس ماغاب عنه على ما تقدم له من التفسير والتأويل ، وينزل حكم الاستعارة فى البيت على ماشا كلها في بيت غيره . فان نكن أصبنا الغرض وأدركنا القصد فى ماذهبنا اليه فذلك فضل الله وتسديده وإلا فما زال العبد مظنة العجز وموضع القصور

هـذا ولم نقل شيئاً فى فاتحة الكتاب تغنّياً بما قاله سيد الكتاب محمد بك المويلحى

أسأل الله تعالى أن يجعل هذا السفر خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به قارئه والناظر فيه

اللهم أعلِ أمر هذا الدين ، وأعز الاسلام والمسلمين ، اللهم وأقم من مجدهم ماتهدّم ، وصِلْ من حبلهم ماتصرّم ، واهدهم صراطك المستقيم بيمن مولانا أمير المؤمنين ومولانا أمير مصر نضّر الله بعهدهما عود الدولة وأقام بهما عمود الملة

وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين «سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ. وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»

استدراك

نستدرك هنا ماوقع من السهو والخطأ فى طبع الكتاب وإن كان لايخفى على ذهن القارئ اللبيب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٤	١٧	ورجع بعد الضلالة	ورجع نفسه بعد الضلالة
١٦	١٧	سوءإن هذا	سواء كان هذا
٣٢	١٧	وينقلها	ويقفلها
٣٣	٨	وهو الجد السادس	وهو الجد الثالث
٤٥	١٧	خذ	نخذ
٦٣	١٦	ماتجلى الله تعالى عليه	ماتجلى الله تعالى به عليه
٦٤	١٩	غابا	كان غابا
٦٥	٣	رخما	كان رخما
٨٠	٢١	وقتل حمزة عتبة واختلف عبيدة وشيبة	وقتل حمزة شيبة واختلف عبيدة وعتبة
٨١	٦	إلا بشرى	إلا بشرى لكم
١١٢	١٦	قال أتقيده	قال أتقيده مني

(تنبيه) - إصلاح العبارة فى أول السطر الثانى من الصفحة الثالثة والتسعين الى قوله « فاذا قامت الهيجاء » هكذا

كانوا يتقاسمون لئن أصابوا اصحابه ليبقرن بطونهم وليلوكن كبودهم — وقد فعلوا ذلك بمن أصابوا من قتلى المسلمين — فاذا قامت الهيجاء الخ

مكتبة ومطبعة الاصلاح

(بشارع محمد على بمصر)

لصاحبها

ابراهيم فوزى

يوجد بها أدوات المكاتب والمدارس وجميع أنواع الورق وكتب مختلفة في علوم شتى

وتطبع الكتب والمجلات والدفاتر والاستمارات والأرانيك والدوسيهات والظروف والجوابات وأوراق الدعوة وبطاقات الزيارة وجميع ما يطبع بحروف عربية وأفرنكية بشكل جميل متقن وأثمان محددة

وتتعهد بتوريد الأدوات الكتابيه والمطبوعات اللازمة للدواير والشركات والمحلات التجارية والمحامين ومصالح الحكومة وغيرها بسرعة وفي غاية الاتقان

﴿ وبها معمل تجليد ﴾

845

أحمد شوقي

[illegible]

IX
309
19